

العلماء من الأدباء والشاعر

مكتبة لسان العرب



النابغة الجعدي

عصره، حياته وشعره

تأليف
أحمد حسَن بسباع

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

العلماء من الأدباء والشعراء

النابغة الجعدي

عصره، حياته وشعره

تأليف
أحمد حسن بسباع

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان



مكتبة لسان العرب

جميع الحقوق محفوظة
دار الكتاب العلمية
 بيروت - لبنان

الطبعة الأولى
 ١٤١٤ - ١٩٩٤م.

دار الكتاب العلمية - بيروت - لبنان

ص.ب: ٩٤٢٤ - ناكس: Le 41245 - ناكس: ١١/٩٤٢٤

هاتف: ٦٠٢١٢٣ - ٣٦٦١٣٥ - ٨٦٨-٥١-٦٠٢١٢٢ - ٨٥٥٧٢٢

فاكس: ٦٠٢١٢٣-٤٧٨١٣٧٣ - ١٤١٢/٤٧٨١٣٧٣ - ٩٦١/٦٠٢١٢٣

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

تناول هذه الدراسة علمًا من أعلام الشعر والأدب في ما بين الماجاهيلية والإسلام. إنه النابغة الجعدي، الصحابي الجليل، والشيخ الحكيم، والشاعر المفلق. ولقد رأيت، وانطلاقاً من مبدأ تيسير العلم وتيسيطه، أن أقدم هذا الكتاب، ليكون مرجعاً متواضعاً للطلاب والباحثين، لا سيما وأن مكتبتنا العربية تفتقر إلى مثل هذا النوع من الدراسات، وإن وجدت، فهي في أكثر الأحيان تمحض في عصر دون عصر، وتهتم بشاعر دون آخر، ولملء هذا الفراغ، جاء هذا الكتاب، وسيتبعه، إن شاء الله تعالى، كتب أخرى، آمل أن يجد فيها القارئ الكريم ما ينفعه ويرضيه، ولبلتسن لي العذر إن كنت لم أبلغ الغاية.

والحمد لله رب العالمين

أحمد حسن بسيج

بيروت: الاثنين ٢٧ ربيع الأول ١٤١٤ هجرية
الموافق في ١٣/٩/١٩٩٣ رومية



أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarab.com

الفصل الأول

الجاهلية

يتناول هذا الفصل دراسة الأحوال العامة، التي أحاطت بالنابغة الجعدي، وما أنه عايش عصرين مختلفين: أعني الجاهلية وصدر الإسلام، كان لا بدّ من إلقاء الضوء على البيئة الجاهلية، بكافة مظاهرها، للانتقال، بعد ذلك إلى دراسة البيئة الإسلامية الجديدة، وإظهار ما في البيتين من العناصر المشتركة، والتي كان لها الدور الأبرز في توجيه الحياة الأدبية، فيما بعد وخصوصاً في شاعرية النابغة قيس بن عبد الله الجعدي، موضوع هذا الكتاب.

الجاهلية:

يميل كثير من الباحثين إلى التفريق والتمييز بين جاهليتين: أولى، ولم يصلنا من أخبارها سوى ما جاء به القرآن الكريم من قصة ثمود وعاد، وأخبار أخرى، ليست كافية، كي نتمكن من رسم معالم دقيقة للحياة الأدبية، والفكيرية في تلك الفترة. وجاهلية ثانية، وهي الأقرب إلينا، ومتقد إلى متى عام على الأكثر قبلبعثة النبي، وهذا ما قرره الجاحظ في معرض حديثه عن تاريخ الشعر العربي حيث قال: «أما الشعر فحدثت الميلاد صغير السن، أول من نجح سبيله وسهل الطريق إليه، أمرؤ القيس بن حُجر ومهلمل بن ربيعة... فإذا استظهرنا الشعر وجدنا له - إلى أن جاء الله بالإسلام - حسين

ومائة عام، وإذا استظرفنا بغاية الاستظهار فهاتي عام^(١). وبناء عليه فإن أي حديث عن الجاهلية، لا بد وأن يتناول هذه الفترة، نظراً لوصول أخبارها إلينا، فضلاً عن آدابها من شعر وخطابة وسجع كهان.

أما التسمية، فإنها مشتقة من الجهل لما كان يتصف في ذلك العصر من سُفَهٍ وطيش، وعبادة للأوثان، وبعد عن جادة الصواب، وليس فقط جهيلهم في الأمور العلمية، وقد جاء في القرآن الكريم ما يثبت ذلك فقال^(٢) تعالى: **﴿أَفَحُكْمُ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾**? وقال^(٣) أيضاً: **﴿خُذُوا
الْعَفْوَ وَأْمِرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَعْرِضُوا عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾**. وقد استعمل شعراء العصر كلمة الجهل بهذا المعنى أي الطيش والغضب والنزق، فقال^(٤) عمرو بن كلثوم:

الَا لَا يَجْهَلُنَّ احَدٌ عَلَيْنَا فَنَجْهَلُ فَوْقَ جَهَلِ الْجَاهِلِينَا
البيئة الطبيعية:

قسم الجغرافيون شبه الجزيرة العربية إلى خمسة^(٥) أقاليم مناخية وطبيعية:

١ - نهامة: وهي الأراضي المنخفضة التي تتد بمحاذاة البحر الأحمر من ينبع في الشمال إلى نجران في الجنوب، وسميت نهامة لشدة حرّها.

(١) الحيوان للجاحظ: ٧٤/١

(٢) سورة الماثدة: آية ٥٠.

(٣) سورة الأعراف: آية ١٩٩.

(٤) شرح المعلقات السبع: ١٢٧.

(٥) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن ٤/١.

٢ - الحجاز: ويمتد هذا الإقليم إلى الشرق من نهama، ويحده اليمن من الجنوب، ويتخلل هذا المنطقة سلسلة جبال السراة، بمحاذاة نهama، وتمتد من الشام إلى نجران يتخللها أودية كثيرة، وتقع مكة المكرمة في إحدى هذه الأودية، كما يضم هذا الإقليم يثرب أو المدينة المنورة، إلى الشمال من مكة المكرمة. ويعتبر هذا الإقليم فقيراً بموارده الطبيعية فهو قليل المياه، وأراضيه مجدهبة قليلة النبات والزرع، والحرارة مرتفعة. وتعد الطائف من أهم مدن الحجاز بل هي بستانه الأخضر لما فيها من ماء وخضراء وطيف هواء.

٣ - نجد: وهو إقليم مرتفع الأرض، ويمتد ما بين اليمن في الجنوب إلى بادية السهوة في الشمال، والعروض وأطراف العراق، ويتمتع بكثرة مراعيم، وطيف هواه، واعتدال مناخه، وقد نشأ في هذه المنطقة أكثر الشعراء الجاهليون.

٤ - اليمن: ويحده جنوباً المحيط الهندي ويتصل بنجد من جهة الشمال، وبحضارموت من الشرق، والبحر الأحر من الغرب. ويُعرف هذا الإقليم بطيف هواه ووفرة مياهه واعتدال مناخه، وقد عرف حضارة عريقة قديماً، غاثلت بإقامة سد مأرب الذي دمره السيل.

٥ - العروض: ويشمل اليهامة وعمان والبحرين، ويفصل بين هذه المناطق مساحات شاسعة من الأراضي المقفرة التي لا ماء فيها ولا نبات. أما البحرين وهي ما يعرف اليوم بالأحساء، في شرقي الجزيرة العربية على الخليج العربي، فأراضيها خصبة ومياهها وفيرة، وأهم متوجاتها التمر.

البيئة الاجتماعية:

انقسم العرب في بلادهم إلى قسمين: بدو وحضر وذلك تبعاً لنمط الحياة الذي اتبعه كل فريق.

أما البدو، فهم سكان الصحراء، وكانوا رعاة يتنقلون من مكان إلى آخر طلباً لموارد الماء وبحثاً عن الكلايل لمواشיהם، فلا يكاد يستقر البدوي في مكان حتى يهجره إذا قل الماء والغذاء، فإن لم يجد مكاناً آخر اضطر للغزو والسلب والنهب، فكثرت الحروب والغارات، وانبرى الشعراً يعبرون عن ذلك الواقع، ويتفاخرون ببطولاتهم وإنجازاتهم، وأيامهم وكثرة عددهم. وهكذا كانت العلاقات الاجتماعية متقطعة، والأواصر مفككة لا رابط بين الناس سوى العصبية القبلية، الناتجة عن الرابطة الدموية ضمن إطار القبيلة الواحدة. من هنا القول بأن النظام القبلي هو النظام الأساس وهو المحور الذي يلتقي حوله الأفراد، وهو نظام يخضع الفرد للإرادة الجماعية ولو على غير هوى، فالعضو في القبيلة جزء منها لا شخصية له، ولا كيان، فلا يقدر على مخالفته ما تجمع عليه القبيلة وتقرره.

وهو ملزم بالانصياع، وتنفيذ ما يطلب إليه في سبيل المجموع ولا خيار له إلا ذلك، يقول دريد بن الصمة^(١):

وهل أنا إلا من غزية إن غوت
غويت وإن ترشد غزية أرشد

وهكذا لا تكاد القبيلة تخرج من معركة حتى تدخل في غيرها فاما أنها تنزو أو يغزوها غيرها، يقول^(٢) دريد بن الصمة:

(١) هو شاعر جاهلي من سادات قومه، والبيت في ديوانه: ٤٧.

(٢) ديوانه: ٦٤.

يُغَارِ عَلَيْنَا وَاتَّرِينَ فِي شَتِّى
بَنا إِنْ أَمْبَنَا أَوْ نَفِيرُ عَلَى وَتِرِ
وَنَظِرًا هَذَا الْأَسْلُوبُ فِي الْحَيَاةِ، الَّذِي يَعْتَدِدُ عَلَى الْقَتْلِ وَالْسَّلْبِ
وَالنَّهْبِ، وَالْكَرْ وَالْفَرْ، تَأْصِلُتُ فِي الْعَرَبِ عَادَاتٍ وَنَقَالِيدٍ وَقَوَانِينَ،
وَدَخَلَتُ فِي صَلْبِ كِيَانَاتِهِ الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ، وَصَارَتْ طَبِيعَةً لَا
يَفَارِقُهُ؛ فَقَانُونُ الْاِحْتِكَامِ إِلَى الْقُوَّةِ هُوَ التَّيْجَةُ الْخَتِيمَةُ لِحَالَاتِ الْعَدَاءِ
الْقَائِمةِ بَيْنَ الْقَبَائِلِ، وَمِنْ مُسْتَلزمَاتِ ذَلِكِ الْإِعْدَادِ الدَّائِمِ لِلْحَرْبِ مَا
تَتَطَلَّبُهُ مِنْ مَالٍ وَسِلَاحٍ وَشَجَاعَةٍ وَجَرَأَةٍ وَإِقْدَامٍ وَصَبَرٍ وَنِجَدةٍ وَجُودٍ،
وَغَيْرُ ذَلِكِ مَا يَقْعُدُ تَحْتَ عَنْوَانِ الْمَرْوِهِ، فَضْلًا عَمَّا تَقْتَضِيُ الْحَرْبُ مِنْ
رِجَالٍ. فَصَارَ الْعَرَبُ يَعْدُ مَا ذَكَرْنَاهُ مِنْ مَفَاحِرَهُ وَمَنَاقِبَهُ. وَلَا بدَّ مِنْ
الْتَّذَكِيرِ هُنَا بِمَقْولَةِ جَاهِلِيَّةٍ كَانَتْ مِنْ نَتَائِجِ نَظَامِهِمْ هَذَا وَهِيَ قَوْلُمُ
أَنْصَرُ أَخَّاكَ ظَلَّمًا أَوْ مَظْلُومًا، فَمِنْ الْعَارِ التَّخْلِيُّ عَنْ نَصْرَةِ الْأَخِ أوْ ابْنِ
الْعِمِّ مَهِمَا كَانَتْ الْأَسْبَابُ وَالْتَّنَاطِعُ.

أَمَا الْمَرْأَةُ، فَقَدْ حَظِيتْ بِقَسْطٍ مِنْ الْاِحْتِرَامِ، وَتَمْتَعَتْ بِشَيْءٍ مِنْ
الْمُحْرِمَةِ وَكَانَتْ تَسْتَشَارُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْوَارِ^(۱)، وَتَشَارِكَ الرَّجُلُ فِي أَعْمَالِهِ
وَقَرَارِهِ، وَقَدْ عَبَرَ الشِّعْرُ الْجَاهِلِيُّ عَنْ ذَلِكَ بِأَنَّ فَاحِرَ بَعْضَ الشُّعُراءِ
بِأَمْهَاتِهِمْ^(۲) كَمَا فَاحِرُوا بِآبَائِهِمْ، وَمَا افْتَاحُهُمْ قَصَائِدُ الْمَدْحِ وَالْفَعْرِ
بِالنِّسَبِ إِلَّا دَلِيلٌ وَاضِعٌ عَلَى مَكَانَةِ الْمَرْأَةِ الْعَالِيَّةِ. أَمَّا نَظَامُ الزَّوَاجِ
وَالْطَّلاقِ فَكَانَ لَهُمْ فِيهِ قَوَاعِدٌ وَأَصْوَلُ مَتَّبِعَةٍ، تَعْتَدِدُ عَلَى رَضِيِّ ذُوِيِّ
أَمْرِ الْزَوْجَةِ وَهِيَ نَفْسُهَا كَانَتْ تُسْتَشَارُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ. أَمَّا
الْطَّلاقِ فَكَانَ مِنْ حَقِّ الرَّجُلِ، وَقَدْ تَمَّتْ بَعْضُ النِّسَاءِ بِذَلِكِ الْحَقِّ

(۱) تَارِيخُ الْاسْلَامِ، حَسَنُ إِبْرَاهِيمَ حَسَنٌ: ۶۴/۱.

(۲) الْمُصْدَرُ نَفْسُهُ: ۶۴/۱.

بناء على رغبتهن^(١). ولكن الأمر الذي يؤخذ عليهم هو الود، وأد البنات خشية العار والفضيحة، وبعضاً منهم كانوا يقتلون الأولاد عموماً خوفاً من الفقر، وقد حرم الإسلام ذلك تجريماً قاطعاً.

وإذا تحدثنا عن الأحوال الاجتماعية، لا بد لنا من التحدث عن الزراء والفقر والطبقات الاجتماعية تبعاً لذلك. وما يلفت الانتباه أن مكّة المكرّمة غيّرت عن غيرها، إذ شهدت نشاطاً تجاريّاً ملحوظاً بحكم موقعها في منتصف الطريق بين الشام واليمن، على طريق القوافل، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد كانت تختلي مكانة دينية متّبعة بسبب وجود الكعبة فيها والأصنام، لذلك صارت مقصدًا للتجار وللزائرين على السواء. ومنها كانت تنطلق القوافل التجارية شمالاً وجنوباً برحلات شتوية وصيفية ورد ذكرها في القرآن^(٢)، أدت إلى ظهور طبقة ثرية من أمثال أبي سفيان والوليد بن المغيرة وعبد الله بن جدعان، فتهاوت الشعراء على هؤلاء الأثرياء ب مدح حونهم لينالوا عطاهم كما فعل أميمة بن أبي الصلت في مدح عبد الله بن جدعان الذي يقال إن جفته كانت تظلّ الناس من حر الشمس.

وبالمقابل كان هناك طبقة من الفقراء وخصوصاً في ظواهر مكّة المكرّمة، ليس لهم في التجارة نصيب ولا مجال يعملون فيه، إلا بعض المهن والصناعات بالإضافة إلى الخدم والعبيد وهم الطبقة الأكثر فقرأ.

(١) المصدر نفسه: ٦٥/١.

(٢) قال تعالى: ﴿لَا يَلِفُ قَرِيشٌ لِيَلِفُهُمْ رَحْلَةُ الشَّتَاءِ وَالصِّيفِ فَلَيَعْبُدُوا رَبَّهُذَا الْبَيْتَ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جَوْعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾. سورة قريش: آيات ١، ٢، ٣، ٤.

البيئة الدينية :

دان أكثر العرب في الجاهلية بالوثنية، فعبدوا الأصنام والأوثان من دون الله تعالى، ويقال إن أول من نقل الوثنية هو عمرو بن لحي المخزاعي، وكان رأى من يعبدوها في الشام فنقلها إلى مكة المكرمة، فانتشرت، وشاعت عبادتها حتى اتخذت كل قبيلة لها صنماً ونصبواها حول الكعبة. وأكبر الأصنام، وكان لقريش، «هبل» وهو من العقيق الأحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى وقد صنعوا له يداً من ذهب. ومن أصنامهم المصورة أيضاً «وَدَ» و«يغوث» و«يعوق» و«نسر» وقد ذكرت هذه الأصنام في القرآن الكريم بقوله^(١) تعالى: «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ أَمْتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدَأْ وَلَا سُوَاعَأْ وَلَا يَغُوثَ وَيَعْوَقَ وَنَسَرَأْ»

أمثالاً للأوثان - وهي أشكال وبعثيات غير مصورة على هيئة إنسان أو حيوان - منها: اللات بالطائف ومعناماً للإله أو الشمس، وهي صخرة مربعة أقيمت عليها بناء، وقامت تقيف على سداتها، وبلغت هذه الصخرة من القداسة عندهم أن سُمُوا أولادهم باسمها فقالوا زيد اللات وتيم اللات... . ومنها: العزى وهي شجرة كانت في وادي نخلة على الطريق من مكة إلى العراق. ومنها أيضاً مناة وهي أقدم الأوثان وتدل بنظرهم على القضاء والموت، وموقع هذا الوثن على ساحل البحر بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، وقد كسره الإمام علي سنة ٨ هـ.

ومن الجدير بالذكر أنهم كانوا يعظمون الكعبة ويعججون إليها كل عام، من جميع الجهات.

(١) سورة نوح: آية ٢٣.

ولم تكن الوثنية هي الدين الوحيد، بل كانت هنالك ديانات أخرى، أو اتجاهات دينية منها الصابئة وهم عبادة النجوم والكتواب؛ وانتشرت هذه الديانة في اليمن والعراق وحران، كذلك عرفت الزرادشية نسبة إلى زرادشت، وهي ديانة فارسية قديمة تقول بوجود إله للخير وأخر للشر، وانتشرت في بلاد فارس والبحرين منبلاد العرب.

كما عرفت اليهودية، وكانوا في اليمن وفي مدن ونجومات أخرى في الحجاز مثل خيبر وبئر وتباء. وقد برز منهم شعراء من أمثال السموءل بن عادياء، ومن أهم قبائل اليهود بنو قريظة وبنو النضير وبنو قينقاع.

أما النصرانية، ففي قبائل تغلب وغسان وقسطنطية في الشمال، وكذلك في نجران واليمن، وعرف مذهبان للنصارى: النسطورية وكانت في الحيرة، واليعقوبية في غسان وسائر الشام، وتعتبر نجران أهم موطن للنصارى في تلك الحقبة، وكان أهلها من ذوي الحرف وأهل صناعة كالنسوجات الحريرية وعرفوا بتجارة الجلود والسلاح. وقد برز من النصارى طائفة من الشعراء جمع أخبارهم الأب لويس شيخو في كتاب سُمِّيَّاً «شعراء النصرانية».

بالإضافة إلى هذه الفرق والأديان، فإن فرقة أخرى عرفت في الجاهلية ولو أنها الأقل من ناحية العدد، ولكن وجودها يدل على وجود أناس عقلاً، يدركون بالفطرة سوء ما وصلت إليه حالم في عبادة الأولان، فبرزت طائفة، في أوقات مختلفة على رفض الفساد والوثنية ودعوا إلى التخلص من كل العادات التي تدل على السفه والطيش كoward البناء، وشرب الخمر ولعب الميسر، ودعوا بالمقابل إلى أعمال المروءة وحضروا على المكارم، ويطلق المؤرخون على هذه الفتنة

اسم «الاحناف» أو الحنفاء، لأنهم كانوا يرون أن هنالك خالقاً وإنما واحداً لا شريك له ولا شيء هو الله المعبد بحق، ولم يقتنعوا بالنصرانية واليهودية. من أولئك قُس بن ساعدة الإبادي خطيب العرب المشهور الذي شهد النبي ﷺ خطيباً في سوق عكاظ^(١)، قبل بعثته، وقد أعجب بكلامه، ومن خطبه الشهيرة قوله: «أيها الناس اسمعوا وعوا من عاش مات، ومن مات فات، وكل آت آت، إن في السماء خبراً وإن في الأرض لغيراً...».

ومن يتأمل شعر أمية بن أبي الصلت يدرك معنى ما نذهب إليه، ولكن أمية أدرك النبي ﷺ ولم يسلم، حسداً لأنه كان يمفي نفسه أن يكوننبياً، وقال عنه النبي ﷺ، عندما أنشد شعره: «آمن لسانه وكفر قلبه»^(٢).

البيئة السياسية :

لم يعرف العرب في جاهليتهم أنظمة سياسية متقدمة للحكم كما في بلاد روما قديماً، كذلك لم يتبع منهاج واحد للحكم في جميع المناطق، فتميّز بالتالي بين عدة أشكال للحكم قامت في مناطق مختلفة وفي حقب زمنية متفاوتة. من هذه الأنظمة ما اتبع في كل من إمارتي الحيرة والغساسنة، أما الأولى فتقع على الحدود الفاصلة بين شبه جزيرة العرب من جهة وبين الدولة الفارسية وكذلك دولة الروم من جهة ثانية. وكان سكان هذه الإمارة من العرب، وقد تمت باستقلال شبه نام إذ كان الفرس يتدخلون في شؤونها بين وقت وأخر ولو عن طريق المعاهدات التجارية والأمنية وغيرها، مما يعود بالنفع أولاً على الفرس. ويرجع تاريخ هذه الإمارة إلى القرن الثالث الرومي،

(١) البيان والتبيين: ٣١ / ١.

(٢) الشعر والشعراء: ٣٠٠.

واستمر وجودها حتى الفتح الإسلامي . وقد تعاقب على حكمها ملوك عرب لخميون عرروا بالمناذرة ، منهم النعيمان بن امرىء القيس . ونذكر هنا بالدور الذي لعبته هذه الإمارة في نقل حضارة الفرس إلى بلاد العرب وخصوصاً في مجال القراءة والكتابة .

أما الإمارة الثانية أي إمارة الغساسنة ، فقد نشأت بمساعدة الروم في الشام حول دمشق وما يحيط بها في لبنان وفلسطين والأردن . ويستعمر الغساسنة في نسبهم إلى قبيلة الأزد اليمنية ومن أهم ملوكهم جفنة بن عمرو ، واستمررت هذه المملكة حتى الفتح الإسلامي حيث زالت بعد معركة البرموشك سنة ١٣ هـ . وكان آخر ملوكهم جبلة بن الأبيهم . وما يذكر أن هذه الدولة ، كجاراتها الحيرة ، قد بلغت درجة عالية من الرقي والحضارة وخصوصاً في مجال العمارة ، فالحصون كانت كثيرة فيها وكذلك الكنائس ، والمباني عموماً كانت مجللة بالحجارة البيضاء ، وقد نعم أهلها بالأمن والرخاء ، وملوكها اقتنوا الحسواري الروميات ، كما تعلموا الفنون الفنالية ، واستفادوا من اللغات الأجنبية فدخلوا من اللاتينية واليونانية مفردات إلى العربية .

أما الحجاز ، فقد عرف استقلالاً تماماً في مختلف العصور ، ولم يستطع الفرس ، أيام قوتهم وسطوتهم ، أن يهيمنوا على هذا الإقليم ، لذلك حافظ العرب على وحدتهم فتميزوا بالعقائد واللغة والعادات عن غيرهم من الأمم . وتعتبر مكة المكرمة عاصمة هذا الإقليم والسيادة فيها لقريش إلا وهي أقوى القبائل وأكثرها عدداً ، وكانت السيادة قبل ذلك لخزاعة اليمنية . ويرجع القرشيون في نسبهم إلى النبي إسماعيل عليه الصلوة والسلام ، لقول سيدنا محمد ﷺ : «اختار الله من إسماعيل كنانة ، واختار قريشاً من كنانة ، واختار بني هاشم من قريش ، واختارني من بني هاشم ، فأنا خيار من خيار من خيار » .

وقد عرفت مكة شيئاً من التنظيم الإداري، يتمثل بتأسيس دار الندوة كما ألمحنا، والذي أسسه قصي بن كلاب، وهو مجلس يلتقي فيه الأعيان للتشاور في الأمور الحامة. وقد اجتمع لقصي هذا كل ما يؤهله للقيادة، فهو رئيس دار الندوة، وبيده لواء الحرب، وله سدانة الكعبة وسقاية الحجيج. وعند ظهور الإسلام كانت سقاية الحجيج بيد العباس بن عبد المطلب، والرفادة كانت أيضاً للعباس بعد أخيه أبي طالب.

وفي نجد عرفت مملكة كندة، وكانت نشأت إثر استيلاء حسان تبع، ملك اليمن، على بعض نواحي نجد، فساعد رجلاً من بني كندة على إقامة تللا، المملكة كان يراقبه ويساعده في حمله.

ولكن هذه المملكة لم تعمَّر طويلاً، إذ قُتل ملكها حجر الثاني (والد الشاعر امرئ القيس)، وبمقتله تقاضت القبائل النفوذ في تلك المناطق، وظل امرؤ القيس الشاعر ينشد ملك أبيه حتى وفاته وعرف لهذا السبب باسم الملك **الضليل**. ويقال إن الكتابة دخلت الحجاز أيام هذه المملكة على يد رجل يدعى بشراً الكندي.

وقد عرضنا في ما تقدّم إلى إمارات وعمالك قامت على أجزاء عدّة من بلاد العرب، وبالتالي لم يكن لها نفوذ واسع، فبقيت أكثر البلاد خارجة عن نطاق هذه الدولات، وخصوصاً البوادي الداخلية وما يليها وصولاً إلى البحرين، حيث ساد النظام القبلي، ومثلت القبيلة الوحيدة السياسية التي تتمتع بحرية قرارها واستقلالها على أرضها فلا تبغي قبيلة على أخرى إلا لتشتعل نيران الحرب. ويرأس القبيلة شيخ أو أمير له صفات منها الشجاعة والكرم والذكاء والفصاحة وغير ذلك مما يقتضيه منصب القيادة، وكان أعضاء القبيلة يحترمونه وينفذون

أوامرها، دون اعتراف، يعاونه مجلس استشاري من وجوه القبيلة، ومن مهامه تقسيم الغنائم وله أن يحتفظ بربعها.

البيئة العقلية والأدبية:

عرفت بلاد الشام والعراق واليمن حضارة قديمة في البناء، وكما أشرنا، في الحيرة وإمارة غسان، وسد مأرب في اليمن، كما عرفت هذه الأقاليم العلوم الأخرى التي لها علاقة مباشرة بالحياة، كالطب والحساب والنبات والري، وقد تأثروا في ذلك بغيرائهم الفرس والروم. أما سائر الأتحاء، من شبه الجزيرة، فلم يكونوا على علاقة بالعلوم العقلية أو غيرها إلّا لاماً، فقد أقتفوا علم الأنواء لاتصال ذلك بطرق معيشهم ليتعرفوا على أوقات نزول الغيث، ومهروا في علم القيافة في معرفة الآثار وتتبعها، خصوصاً آثار الأقدام التي كانت تطبع على الرمال، ومن العلوم التي ابتكروها واهتماموا بها اهتماماً بالغاً علم الأنساب، ونشأت الحاجة إلى مثل هذا العلم كنتيجة لسياسة الروابط الدموية والعصبية التي كانت تبني على أساسها التحالفات الفردية والجماعية. ومن علومهم التي تكاد تكون خاصة بهم علم الفراسة، وهو الاستدلال على الصفات الشخصية من خلال الملامع الخارجية أو الحركات العضوية لشخص ما. أما العراقة فهي ضرب من التوهم وتوقع ما يكون، على زعمهم، في المستقبل، بواسطة ضرب الحصى وزجر الطير والاستقسام بالأزلام وغير ذلك.

أما في مجال القراءة والكتابة، فلم يثبت أن العرب قد اهتموا بها قبلبعثة النبي ﷺ، وكانت مسألة فردية تعود إلى رغبة المتعلّم وحاجته، وأوائل المحاولات الجادة في تعليم القراءة والكتابة كانت لاحقاً في عهد النبي ﷺ وبأمره عندما طلب من أسرى بدر الذين

يعرفون القراءة والكتابة، أن يعلم كلّ منهم عشرة من أبناء المسلمين، وذلك يعتبر فداء لأسرهم.

ولكن الأمر الذي تفوقوا فيه، وعلى الفطرة، الشعر أولًا والخطابة ثانياً، وكانت مكّة المكرّمة تمثّل المحطة بل المركز الذي يلتقي فيه العرب تجارة وشعراؤهم وخطباؤهم، فيحجّون ويزيرون ويتجرون ويتطارحون الشعر ويتبارون في ذلك أمّا نقاد خبراء في صنعي الشعر والخطابة، كالنابفة الذبياني، وأحكامه مشهورة في سوق عكاظ، فالاجتماع في مكّة المكرّمة، كان في البداية لأسباب دينية، ولكنه تحول مع الأيام إلى لقاء منافع متبادلة تجارية وعلمية وأدبية.

والشعر العربي مقفى موزون، وبما أن أوائله تعود إلى هذا العصر، فإنه كان أصيلاً لا نظن أنه أخذ أنظمته عن الأمم المجاورة، خصوصاً لأنّه نشأ في نجد، وأهل نجد لم يتصلوا بغيرائهم مباشرة. وقد يكون هنالك علاقة بين قواعد الشعر والمعتقدات الدينية، التي تختلط ببرهبة وقداسة اقتضت أن يعبر عنها الناس بكلمات خاصة ومركبة تركيباً خاصاً ذي نغمة موسيقية معبرة، وهذا كانت أولى الأناشيد، ما لبثت أن اعتمدت طرائفها وعممت على كلّ الشعر.

أما من حيث المضمون، فإنّ الشعر الجاهلي يتناول الواقع وبصوره تصويراً دقيقاً، فيتحدث عن الصحراء وأهواها وحيواناتها، ويصف الناقة والمحصان والأسد والغول، كما يصور المعارك الدامية فيفترخ الشاعر ببطولات قومه ويهجو أعداءهم، وقد عبر عن فرحة بالحياة فتغزل بالمرأة ويجعلها ووصف الخمرة ومجدها، كما ذهل عند حقيقة الموت، فبكى وتقطّع بالرثاء، ولم يفته أن يعبر عن إعجابه بفضائل الأعيال فمدح العظاء والكرام من الناس والمقدمين منهم، وفي جميع الحالات لم يخل أن يصدر عن الجاهليين خواطر وحكم مستملة من

غمبرتهم القاسية مع الحياة، وأهم حكمائهم زهير بن أبي سلمى.
الخلاصة:

إن طبيعة البلاد العربية الجافة الصحراوية، وجئّت البدوي إلى البحث الدائم عن الماء والغذاء، حتى صار ذلك هاجساً لا يفارقه، فإذا دعا قال: «سقياً ورعياً»، وإذا مدح شبهه مدعوه بالغيث أو الندى، وإذا ذكر الفتنة شبهها بالماء فقال ماء الشباب. وقد ذهب إلى أبعد من ذلك بسبب حاجته إلى الماء، فتولدت لديه عقيدة ظلماً للميت في قبره ما لم يؤخذ بثاره، فإنه يظل مضطرباً على رزعمهم فيخرج طير يسمى الهامة من رأسه فيصبح «اسقوني اسقوني»، ولا يسكت حتى يؤخذ بثار القتيل، يقول طرفة:

كريم يروي نفسه في حياته
ستعلم إن متنا صدى آينا الصدي

أما الصراع الدائم فقد نشأ عنه حياة مضطربة حيث استحكمت الروح العدائية بين الناس، مما انتهى أن تمجد عادات معينة صارت فضائل عندهم لا يشرف المرء إلا بها كالشجاعة والدفاع عن الخايس والثار، ولطالما فاخروا بها باعتبارها من مآثرهم، ومدحوا من يحمل هذه الصفات وهجوا من يفتقدوها.

كما أثر التنقل الدائم في توجيه إشعارهم، ومضامينها، لما يشكله من صدمات نفسية للمحبين والعشاق إذ ترحل الحبيبة، فيقف العاشق على أطلالها ذاكراً باكيًا متغزاً، وأول من فعل ذلك امرؤ القيس في مطلع معلقته:

ففانبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وعلى العموم، فإن الشعر الجاهلي كان ابن بيته صادقاً في نقل الواقع كما هو دون زيف، فجاءت ألفاظه خشنة كخشونة الصحراء، أفكاره متقطعة كقطع إقامة البدوي، بعيداً عن العمق والتحليل بسب الأمية والجهل والبعد عن المعرفة العقلية، وإذا أراد أن يقارن فإنه يلجأ إلى الصور الحسية في التشبيه. والقصيدة الجاهلية عموماً تميّزت بنظام، تعلّدت فيها الأغراض فجاءت على نسق: غزل وصف للناقة مدح وفخر وهجاء.. . ومع هذا التعلّد فإن أفكارها تسم بالإيجاز، الذي يرد هو بدوره إلى ظاهرة الأمية، فكانت الحاجة ماسة إلى الحفظ فكان الاختصار تسهيلاً للحفظ.

الفصل الثاني

صدر الإسلام

العصر الإسلامي

المقصود بعصر صدر الإسلام، على الأغلب، الفترة التي تشمل عهد النبي ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين، وبذلك يتهمي هذا العصر سنة ٤ للهجرة حيث يبدأ العصر الأموي.

أمر النبي ﷺ بتبلیغ الدعوة عندما بلغ الأربعين من العمر، وظلَّ الوحي يتزلُّ عليه بالقرآن مدة ثلاثة وعشرين سنة، أمضى منها ثلاثة عشرة سنة في مكة المكرمة، وعشر سنوات في المدينة المنورة وكان اسمها يثرب قبل هجرة النبي ﷺ إليها. ثم توفي عليه الصلاة والسلام وله من العمر ثلاثة وستون سنة ودفن في المدينة المنورة في حجر عائشة رضي الله عنها، بعد أن بلغ رسالة ربِّه وأدى الأمانة كما أمر. وقد تولَّ أمر المسلمين، من بعده أربعة من الخلفاء الفضلاء وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. وعرف عهدهم بالعهد الراشدي، وقد سار هؤلاء على سنة النبي ﷺ، فثبتوا أركان الحكم، وتابعوا نشر الدعوة وطبقوا أحكام الإسلام ونظموا شؤون الدولة،

المالية والإدارية والقضائية والعسكرية، كما جمعوا القرآن الكريم ودوّنوه في المصاحف وشجعوا على حفظه وتلاوته وتفسيره.

القرآن الكريم :

هو كلام الله الذي أنزله الله وحباً على النبي محمد ﷺ، وقد استغرق نزوله ثلاثة وأربعين سنة، وكان ينزل على شكل آيات وسور، ونزل أكثره في مكّة المكرّمة فسمّي المكّي، أما ما نزل في المدينة فسمّي المدني، وكان عليه الصلاة والسلام قد اتخذ كتاباً للوحى منهم زيد بن ثابت ومعاذ بن جبل وعلي بن أبي طالب وغيرهم، أما جمع الكتاب فقد تم في عهد الخليفة عثمان بن عفان.

وتضمن القرآن الأحكام التي تحدّد العلاقات العامة في المجتمع الإسلامي من خلال ما سمّي آيات التشريع، كما حدّدت آيات أخرى الأعمال التي كلف بها المسلم من أوامر ونواو، بالإضافة إلى العبادات وأحكامها كأحكام الصلاة وشروطها وأركانها والصيام وفرضه وغير ذلك من أحكام العبادات.

ويدعو القرآن الكريم إلى بر الوالدين وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كذلك دعا إلى الامتناع عن الخمرة والزنا وحرم لحم الخنزير، بالإضافة إلى طائفة كبرى من الأوامر والتواهي. ولم يقتصر الأمر والنهي على ذلك، بل تعمّدَ ليحدّد علاقات الأفراد، بعضهم ببعض، كي يسود الأمن والسلام والمحبة والإلفة بين الناس، فيأخذ كل حقه ويرضى بما أعطاه الله، فهناك طائفة من الآيات تحدّد أحكام الزواج والطلاق، والميراث والبيع والشراء والأداب العامة في المأكولات والمشارب، والجلوس والحديث، وباختصار لم يترك هذا الكتاب أمراً إلا وأشار إليه أو بين وفضل. أما النوع الأخير من

الآيات وكان من حقه أن تقدمه على كل ما سلف، فهو ما يتعلّق بالعقائد والإيمان، فقد دعا القرآن إلى نبذ عبادة الأوثان والأصنام وكل ما لا يضر ولا ينفع وأرشد إلى عبادة الله الواحد الخالق القهار.

وهكذا نجد في القرآن الكريم ما نحتاجه من أجل الوصول إلى سعادة حقيقة في الدنيا والآخرة، فبحذا لو تبصر المتصررون فيه وتدبروا آياته، ولو فعلوا لوفروا على البشرية عناء البحث والتفكير فيها يصلح لأمور دنياهم.

لغة القرآن ومنهجه:

نزل القرآن بلسان عربي مبين وبلغة قريش الحجازية، وفيه من ضروب الفصاحة والبلاغة ما لا أستطيع أن أصفه في هذه العجالات، فهو كلام الله الذي تحملُّ فيه أن يأتي الخلق بعثة! وأن يكون لم ذلك؟! هذا الأمر دفع الأدباء ومنذ صدر الإسلام حتى يومنا هذا، إلى البحث المستمر، والتنقيب الدائم عن وجوه الإعجاز في هذا الكتاب العظيم، وكلما توغلوا في الدرس، كلما اكتشفوا أموراً جديدة، فمن الأمثلة البلاغية فيه كثرة أساليب التشبيه والتمثيل، والمجاز والاستعارة والكتابية، وغير ذلك. أما العبارة فإنها تطول وتقصر حسب المعنى المراد، وأن القارئ ليحسب ذلك سجعاً وهو ليس كذلك.

وأخيراً لا بدَّ من التمييز بين نوعين من الآيات الكريمة: آيات حكمة وهي التي لا تتحمل التأويل ومعناها ظاهر واضح، لا خفاء فيه، أما المتشابهات، فلا يعلم تأويلها إلا الله تعالى والراسخون في العلم، فلا تؤخذ على ظاهرها.

والملحوظة الأخيرة، تتعلق بالمدني والمكي، فالآيات المدنية أكثرها

آيات تشريع وتفصيل للعبادات والمعاملات، لذلك تخلو من أسلوب القوة والزجر والتأنيب، كما هي الحال في الآيات المكثة التي تتضمن ترغيباً وترهيباً وزجراً ووعيداً، واللهجة خطابية جدلية بعنة الإقناع العقلي، لذلك كانت آيات كثيرة قصيرة وليس بطول المدحيات.

أثر الإسلام في الحياة العربية:

أحدث الإسلام انقلاباً جذرياً في المجالات المختلفة في بلاد العرب سواء من النواحي السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية والعلقية. فعمل الصعيد السياسي عرفت بلاد العرب شكلاً متقدماً من أشكال الحكم، فوجدت حكومة مركزية، ودولة قوية لها أنظمتها التي تعتمد على القرآن الكريم وتستمد منه الأحكام في الشؤون المختلفة، وهكذا عملت هذه الدولة على ترسیخ أواصر العلاقات بين المسلمين الذين سوئ الإسلام بينهم، فتهدمت بذلك المفاهيم القبلية والعصبية الدموية، وتحولت القبائل المتنافرة إلى أمة افتتحت على الأمم الأخرى وانصهرت في رابطة دينية واحدة عنوانها «إما المؤمنون إخوة».

وعلى الصعيد الديني، انصرف الناس كلّياً عن عبادة الأولان، وعبدوا الله الواحد، وأمن المؤمنون بالبعث بعد الموت، وبالحساب مما جعلهم يحاسبون أنفسهم فتجنبوا الشرور، ومالوا إلى فعل الخير طمعاً في مرضاة الله تعالى، هذا الإيمان فتح المجال إلى تغييرات هامة على الصعيدين النفسي والأخلاقي. فعمل الصعيد النفسي، صار المسلم ينظر إلى الحياة نظرة ملؤها التفاؤل، كما نظر بعين الوعي والعقل لا بمنظار التوهّم والتخيل. لذلك انصقت الشخصية العربية وتهذّبت بفضل الإسلام، فصار الناس يتراحمون ويتساوون، وأحلوا السلام محل الحرب، والمودة محل الضغينة، والتسامح محل الحقد، وابتعدوا عن المفاحيرات بالأحساب والأنساب، وباختصار تحول المجتمع من

يُجتمع العنجية إلى مجتمع الرحمة، وصار المسلم يرعى حقوق أخيه المسلم في حضرته أو في غيابه، وخضع الجميع لاحكام الشريعة في القاضي بدلاً من الاحتكام إلى قانون الثأر والقتل العشوائي، فلم تعد الشجاعة تعني الشيء نفسه، فقد حلّت معانٍ جديدة تتلاءم مع مبادئ الدين، والنجدية أيضاً ليست مطلقة بمعنى مناصرة الظالم، بل العكس هو الصحيح، الإسلام دعا إلى نصرة المظلوم لا العكس ولو كان من ذوي القربي، ومن هنا، يتبيّن انقلاب المعايير الأخلاقية مما يفسّر ادعاءنا بأن تغييراً أخلاقياً جذرياً قد حصل بالفعل.

وكما غير الإسلام الحياة السياسية والدينية، كذلك أحدث تغييرات عظيمة وعميقة في البنية الاجتماعية: فأزال الفوارق بين الناس على قاعدة إن التفاصيل بين البشر لا يكون على أساس اللون أو الأصل أو الجنس بل تطبيقاً للحديث الشريف: «لَا فَضْلَ لِعَرَبٍ عَلَى أَعْجَمِي إِلَّا بِالْتَّقْوَى»^(١)، وانطلاقاً من هنا زال كل ما كان ينبع على المرء، فالله تعالى ساوي بين الجميع في التكليف وأمور العبادة وفي الثواب والعذاب، فلا يتقدّم واحد على الآخر إلا إذا تقدّم عليه بالطاعات والأعمال الصالحة. إذاً فقدم الإسلام نموذجاً، نراه الأكثر تقدّماً، في تحديد العلاقات الاجتماعية والتي تحفظ للإنسان كرامته وحرি�ته وماله وحقوقه، في ظل رعاية الدولة من جهة، وفي ظل احترام الآخرين له ولحقوقه كافة، ولم يستثن من هذه القاعدة أصحاب الملل الأخرى كالنصارى واليهود، فقد تكفل لهم الإسلام بالحماية والرعاية أيضاً.

ومن أجل ضمان الأمن الاجتماعي، اهتمّ الإسلام بالناجية الاقتصادية للفرد، فنان كل نصيبه من أموال الغنائم وغيرها مما كان يرده إلى بيت المال، فعاش الناس في بحبوحة ورفاهٍ مما أنجح لهم أن

(١) رواه أبُدٌ: ٤١١/٥.

يتحضرون ويفتنوا الجواري والغلمان، ويشيدوا القصور ويستمتعوا بمجاחינ الحياة، كل ذلك أسهم في ترقية الذوق والعقل العربين، فصار أقرب إلى الأخذ بأسباب الرقي والتطور، فأخذوا عن الأمم الأخرى ما ينفعهم من علوم وأعملوا عقولهم للإفادة منها ومن مناهج وأصمعها، وقد شجع الإسلام على طلب العلم، وحضر على التأمل، بل جعل النبي ﷺ العلم فريضة في قوله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

ترك كل ذلك أثره في الأدب، ولكن الأثر الأكبر يبقى للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

أما القرآن، فقد أسهم في أن جعل من لغة قريش لغة رسمية علياً تتقدم على سواها، فصارت بالتالي لغة الشعر والأدب والتأليف، حتى صارت تستخدم لاحقاً في كل بلاد الإسلام، خصوصاً وأنها توسيع لتضمّن كلمات لم تكن معروفة في الجاهلية، كلمات ترتبط بواقع الحياة الإسلامية الجديدة، كالإيمان والبعث والنشر والصوم والجنة والنار وما سوى ذلك، ولا نقصد هنا أن كل هذه الكلمات لم تكن ذات أصل، بل أردنا أن نشير إلى تغير الدلالة فحسب. والقرآن، كان ولم يزل، محور اهتمام الباحثين والعلماء، فنشأت علوم غايتها التقرير النحوى والصرفى من أجل فهم القرآن، وكذلك علم الفقه والتفسير والمعجميات... وقد أثر القرآن في الأداب، فلجما الرواية إلى جمع أشعار العرب القدية واستعانا بها في تفسير ما كان يستغلق على أفهمهم من مفردات قرآنية، كما شجع القرآن بما فيه من إعجاز على ظهور مؤلفات كثيرة تبحث في وجوه بلاغته فضلاً عن لجوء أهل

الخطابة وأهل الفصاحة، فيما يقولون ويكتبون إلى هذا المنهل العظيم
ل يستشهدوا بأياته و ياعجائزه.

الحديث النبوى:

هو ما أثر عن النبي ﷺ من أقوال، أو أفعال، وكان عليه الصلة
والسلام أفصح العرب، فلا غرو أن تكون أحاديث منهلاً، يتوجه إليه
المتعلمون والباحثون ليستفيدوا من أسلوبه وألفاظه، فضلاً عنها نشا
حوله من مؤلفات تناولته جمأً وشرعاً وتصنيفاً فنشأت موسوعات
ضخمة، سُمِّي بعضها بال الصحيح ك صحيح مسلم، و صحيح
البخاري وهما من أشهر كتب الحديث.

موقف الإسلام من الشعراء والشعراء:

بلغ الشعر في الجاهلية منزلة عظيمة، واحتل الشعراء المكانة
العالية، لأنَّ الشاعر كان لسان قبيلته ينود عنها بلسانه كما كان يدافع
عنها بيده، و اشتهرت فنون معينة لوجود ما يهدى لها كالهجاء والفخر
للذين ارتبطوا بالصراعات القبلية، وكان البيت من الشعر يرفع قوماً
ويخفض آخرين، وقد يكون سبباً لإشعال حرب ضروس. كما ازدهر
الغزل الإباحي كما نرى في معلقة أميرِه القيس وغيره، والتغزل
بالخمرة كما فعل الأعشى.

هذه الفنون، تراجعت تراجعاً ملحوظاً في الإسلام لأسباب عديدة
منها ما ورد أولاً في القرآن الكريم حول الشعر والشعراء وخصوصاً
الكافرِين منهم، قال^(١) تعالى: ﴿الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم
في كلِّ وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾. وقال تعالى^(٢):

(١) سورة الشعراء: آية ٢٤. (٢) سورة بيس: آية ٦٩.

﴿وَمَا عَلِمْنَا الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾، ففي الآية الأولى ذمُّ الله تعالى الشعراء لما كانوا يفعلونه من المفاسد ويقولونه من الكذب والبهتان، وفي الثانية يرثُ الله تعالى على الكفار الذين كانوا يزعمون بأن النبي ﷺ ما هو إلا شاعر، فالنبي ليس بشاعر ولا يقول الشعر، والذي أنزل إلَيْهِ هو القرآن. من هنا انصرف كثير من الشعراء عن قول الشعر ترفاً، وعمدوا إلى ما هو أولى وعنتَ القرآن، فانصرفوا إلى تعلم القرآن وحفظه وإلى العبادة والدعوة إلى الله، بدلاً من الخوض في مفاخرات ومساجلات نهى عنها الإسلام.

ولكن هل حرم الإسلام الشعر؟ الجواب لا، لم يحرم إطلاقاً، إنما النهي عن الكذب والافتراء والشتم والسب، سواء في الشعر أم في غيره، أما ما كان صادقاً منه، بعيداً عن فاحش القول، فلا ضير فيه.

وعلى العموم فإنَّ الشعر استمرَّ في هذا العصر، أقلَّ مَا كان عليه في الجاهلية خصوصاً في المجاء والغزل والخمرة، وكذلك المديح الكاذب، تحول إلى مدح صادق وأكثره في مدح النبي ﷺ، أو في مدح الصحابة من الخلفاء الراشدين. والفرح تحول من فخر ذاتي أو قبلى إلى فخر جاعي بال المسلمين ومآثرهم، والغزل بقي منه الغزل العفيف وغالباً ما كان في افتتاحيات القصائد على الطريقة الجاهلية. ونتوقف قليلاً عند المجاء، إذ برزت طائفة من الكفار تهجو النبي ﷺ هو وال المسلمين، فأمرَّ عليه الصلوة والسلام شاعره وصاحبِه حسان بن ثابت الانصاري أن يرثُ عليهم وبهجوهم ففعل هو وعبد الله بن رواحة وغيرهما، ولكنَّهما لم يتناولا الأعراض ولم يفتحا في القول.

وما يذكر أنّ فتة من الشعراء لم تتخُلْ كلياً عن الجاهلية، فأسلم هؤلاء لكنهم استمرُوا في المجاء فأذعنوا كالحطبة، وتغزُل بعضهم بالخمرة وشربها مثل أبي محجن التفعي الذي سجنه سعد بن أبي وقاص في القادسية. والحطبة كان سجنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولم يطلقه إلا بعد أن تمهَّد بعدم النيل من أغراض المسلمين.

ومن الناحية الفنية فإنَّ الشعر في هذه المرحلة، كان لا يختلف كثيراً عَنْما كان عليه في الجاهلية، من حيث تعدد الأغراض في القصيدة الواحدة، وافتتاحها بالغزل، والخشونة في كثير من الألفاظ، مع تسجيل تحول كبير في المعانٍ، إذ ذُخر هذا الشعر بالمعانٍ المستمدَّة من البيئة الإسلامية الجديدة.

الفصل الثالث

النابغة الجعدي^(١)

نسبه، مولده، سيرته، وفاته

نسبه:

اختلف العلماء والترجمون في اسم النابغة، فقيل هو عبد الله بن قيس بن جعدة بن كعب بن ربيعة، وقال آخرون هو قيس بن عبد الله، وذهب غيرهم إلى القول: هو حبان بن قيس، واتفقا في بقية اسمه ونسبه. وكتبه أبو ليل، ولا ندري سبب هذه الكتبة، فلم يرد في المصادر التي ترجمت له أن له بتناً اسمها ليل، ولو أن بعضها أشار إلى ابن له ولم يذكر اسمه. إلا أن ابن سلام أخبر^(٢) عن ابن دأب بان مروان بن الحكم وكان والياً على المدينة المنورة قد أخذ ابن

(١) انظر في ترجمته: الأغاني: ١/٥، أسد الغابة: ٢/٥، خزانة الأدب: ٥١٢/١، الإصابة: ٢١٨/٦، وقد رجح أصحاب المصادر المذكورة أن اسمه حبان بن قيس. أما المصادر التي رجحت بأنَّ اسمه قيس فهي: معجم الشعراء للمرزباني: ١٩٥. طبقات فحول الشعراء: ٥٣. أما في الشعر والشعراء: ١٧٧ فهو عبد الله بن قيس. وفي كتاب العمررين: هو قيس بن عبد الله.

(٢) طبقات فحول الشعراء: ٥٥.

التابعة ولابله، لأنه كان علوي الرأي، فمدحه على أثر ذلك بآيات،
شُكْل ابن سلام في بعضها وما رواه:

فإن يأخذوا مالي وأهلي لظنةٍ
فإني لحراب الرجال محربٌ^(١)

وذهب غيره^(٢) إلى أن ابنه يسمى حارباً وقد ذكره في قوله:
الم تعلمي أني رزئت حارباً فـا لك منه اليوم شيء ولا لي
ولكنه لم يكن به.

أما والدته فهي فاخرة بنت عمرو بن شحنة الأستدي. أما خبر زواجه فأفاد ابن سلام بأنه تزوج امرأة من بني المجنون ولكنها نازعه وادعت الطلاق، وصار يراها في منامه. فقال فيها أبياتاً يهجوها منها^(٣):

مالي ولا بنته المجنون تطرقني بالليل إن نهاري منك يكفي
والتابعة لقب له لأنه أقام مدة لا يقول الشعر ثم نبع ف قاله^(٤)، وما
ذكره صاحب الأغاني في هذا المجال أن الجمدي «قال الشعر في
الجاهلية ثم أجب دهراً، ثم نبع بعد في الشعر في الإسلام»^(٥).
نشأته وسيرته:

ولد التابعة في الفيلج جنوب نجد، وليس هنالك ما يدلنا على تاريخ ولادته بالضبط، ولكن المصادر التي تحدثت عن سيرته تجمع أنه

(١) طبقات فحول الشعراء: ٥٥.

(٢) شرح الحمامة للمرزوقي: ١٠٦١.

(٣) طبقات فحول الشعراء: ٥٥.

(٤) الأغاني: ٥/٥.

كان معمراً. نقل^(١) صاحب الأغاني عن القحدمي: «كان الجعدي
أسن من نابعة بني ذبيان»، وما يدل على ذلك أنه عاصر المنذر بن
المحرق، من قبل النعمان بن المنذر، الذي مدحه النابعة الذبياني،
ولكن الذبياني مات قبل الجعدي ولم يدرك الإسلام. قال^(٢) الجعدي:

تذكّرت شيئاً قد مضى لسبيله
ومن عادة المحزون أن يتذكرا
ندامي عند المنذر بن عرّق
أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقبرا
كهولٌ وفتياً كان وجومهم
دنانيرٌ مما ثيف في أرضهم فبصـر
وتشير بعض الروايات^(٣) إلى أنه عاش مائة وثمانين سنة، إلا وهو
القاتل:

لبست أناساً فافتتهم وأفنيت بعد أناسٍ أناساً
ثلاثةً أهلين فافتتهم وكان الإله هو المستأسـا
ولا يستغرب أبو الفرج ذلك ولا يستنكره لأنـه - أبي الجعدي -
وقال لعمر بن الخطاب رضي الله عنه إنه أفنى ثلاثة قرون، كل قرن
ستون سنة، فهـذه مائة وثمانون^(٤). فإذا كان النعمان توفي سنة ١٥
ق. هـ، وكان النابعة نديماً لوالده المنذر، يعني ذلك أنه كان رجلاً
ناضجاً أيام المنذر بن المحـرق، مما يجعلـي أميل إلى القول بأنه عاش

(١) الأغاني: ٥/٥.

(٢) الأغاني: ٦/٥.

(٣) الأغاني: ٦/٥.

(٤) الأغاني: ٧/٥.

أكثر من مائة سنة، لا سيما وأنه مات في أصبهان سنة ٦٥ هـ . وما قاله^(١)، وفيه إثبات إلى ما نذهب إليه:

الا زعمت بنو سعدٌ بائي
أنت مائة لعام ولدت فيه
وهكذا يكون قد عاصر ملكين قبل الهجرة النبوية، ثم كانت له
صحبة مع النبي ﷺ، وعاصر من بعده الخلفاء الاربعة ومعاوية وابنه
يزيد، كما قدم على عبد الله بن الزبير وهو بمكة وكان قد دعا لنفسه
فاستباحه ومدحه.

اما وفاته على النبي ﷺ، وإسلامه فكان ذلك سنة ٩ للهجرة،
حيث قدم على رأس وفد من قومه، إلى النبي ﷺ فأسلم وحسن
إسلامه، وانشد بين يدي النبي ﷺ أبياتاً منها قوله^(٢):

بلغنا السمهاء مجذنا وجذونا وإننا لنبغي فوق ذلك مظهرا
فقال النبي ﷺ: «فأين المظهر يا أبا ليل؟»، فقال: الجنة، فقال
النبي ﷺ: «قل إن شاء الله»، فقال: إن شاء الله وتتابع الآيات:
ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بسادر تحمي صفوه أن يُكدرها
ولا خير في جهلٍ إذا لم يكن له
حليمٌ إذا ما أورد الأمر أصدرا
فقال النبي ﷺ: «أجدت لا يُغاضر الله فاك»، وقد عاش بعد
ذلك ما عاش وحق وفاته ولم ينفع من فيه سن!

(١) الأغاني: ٦/٥

(٢) الأغاني: ٨/٥

وما يذكر هنا أن النابغة كان في الجاهلية من يتفكر ويتأملون،
فأنكر الخمر والسكر وما يفعل بالعقل، وهجر الأزلام والأوثان،
وقال^(١) في الجاهلية كلمته التي أولها:

الحمد لله لا شريك له من لم يقل لها فنفسه ظلمها
كما كان يذكر دين إبراهيم والحنفية، ويصوم ويستغفر ويتوسل
أشياء لعواقبها.

وييلو من خلال أخباره أنه لم يعد مع قومه حين رجعوا إلى
منازلهم، لكنه أقام في المدينة المنورة، وكانت له أخبار مع علي رضي
الله عنه فشهد صفين معه وشهد فتح بلاد فارس. ومن أخباره^(٢) مع
عثمان رضي الله عنه، أنه دخل عليه يوماً يستأذنه موعداً فسأل عثمان
عن وجهه؟ فقال: «الحق يليلي فأشرب من ألبانها فلنكر لنفسي».
فقال له عثمان: «أتعرجاً بعد المجرة يا أبا ليل؟ أما علمت أن ذلك
مكرر؟!» قال: «ما علمته وما كنت لأخرج حقاً أعلمك». فاذن له
وأجل له أجلًا.

شاعريته:

لقد عاصر النابغة الجعدي عدداً كبيراً من الشعراء، في جاهليته
وفي إسلامه. وقد ذكر^(٣) ابن سلام أن الجعدي كان قد يبدأ شاعراً
طويلاً مُقلقاً طويلاً البقاء في الجاهلية والإسلام، إلا أنه صنفه في
شعراء الطبقة الثالثة كأبي ذؤيب الهذلي ولبيد والشماخ. كما أفاد

(١) الأغاني: ٩/٥.

(٢) الخبر بكتابه في الأغاني: ١٠/٥.

(٣) الأغاني: ٥/٥، وطبقات فحول الشعراء: ٥٣.

الأصفهاني عن ابن الأعرابي أنه قال^(١): «أقام النابغة الجعدي ثلثين سنة لا يتكلّم، ثم تكلّم بالشعر»، فلذلك اعتبروه نابغة!

وقال^(٢) أبو زيد عمر بن شبة في خبره: «كان النابغة شاعراً متقدماً وكان مغلوباً (أي مغلوباً) ما هاجى قطُّ إلَّا غُلب، هاج، أوس بن مغراة، وليل الأخبالية، وكمب بن جعيل فغلبوا جميعاً». وليس في هذا الكلام ما يغضّ من منزلة النابغة ولكنه يدلّ بمنظارنا على أمرين، الأول أنه كان بعيداً عن التكلّف، والثاني تعرّفه وترفعه عن فاحش القول. ولسوف نتبيّن ذلك في الفصل التالي. أما الأصمعي فإنه نقل عن الفرزدق أنه قال^(٣) عن الجعدي النابغة: «كان صاحب خلقان عنده مُطْرَفٌ بِالْفِ، وَخَمَّارٌ بِوَافٍ». وأراد أنْ في شعره الساقط الرديء والجيد الرفيع.

ومهما تعلّدت الأقوال والأراء، فحسب النابغة الجعدي ما قاله له النبي ﷺ - كما مرّ - «أجدت لا يفضض الله فالك».

(١) الأغان: ٥/٥.

(٢) الأغان: ١٠/٥.

(٣) الأغان: ٢٨/٥. والختيار: غطاء لرأس المرأة، بواf أي بدرهم وثلث.

الفصل الرابع

أغراضه الشعرية

التابعة الجعدي، باعتباره شاعراً غضرياً، فإنه نظم في الفنون الشعرية المختلفة وجمع بين منهجين مختلفين: منهج الجاهميين بما فيه من قوّة وجزالة وصور بدوية وواقعية، إضافة إلى منهج متأثر بتعاليم الإسلام، ويعتمد البساطة والوضوح، فضلاً عن المعانى السامية التي استفادها الشعراء من القرآن الكريم ومن التعاليم والاحكام الشرعية، فلا غرابة إذاً أن يترك ديواناً شعرياً تضمّن مقطوعات وقصائد في مختلف الفنون، وقد ذكر ابن النديم أن ديوان التابعة الجعدي من عمل الأصمعي وابن السكّيت، ولكن هذا العمل لم يُعثر عليه حقاً الآن، وكل ما بين أيدينا من شعر التابعة هو ما جمعته الآنسة ماريا ناللينو الإيطالية وطبعته في روما سنة ١٩٥٣ رومية، وقد اعتمدت في دراسة الأغراض الشعرية على المجموع المشار إليه، وعلى ما أورده المصادر التي أوردت أخبار التابعة وشيباً من شعره.

المدح:

لما كان المدح هو فن التعبير عن عاطفة الإعجاب بشخصية المدحوم، ولما كان هذا الفن قد يبدأ قدم الشعر عند العرب، ونظراً لقلب الاحوال الاجتماعية بسبب الحياة القبلية التي كانت تقوم على

الغزو والقتل والسلب، فإن الشعراء جنحوا بالمدح عن هدفه الذي وجد من أجله في الأصل، فصار بعضهم يمدح بُعْيَة التكُّب المادي، فقرُّبوا من الملوك والأثرياء، وذوي السلطة ومدحوهم بما فيهم من المأثر أوليس فيهم، فأجزلوا المال للشعراء وأكرموهم. ولم يكن النابغة الجمدي بعيداً عما وصفنا، فهو شاعر مغلق بدوي، سلك طريق غيره فيم شطر الحيرة ليمدح ملوكها اللخمين كما صرُّح هو نفسه بذلك، حيث تذكر تلك الأيام، والنديامي عند المنذر بن عرق فقال^(١):

تذَكَّرُ الذَّكْرِي تَبِيجُ لَذِي الْمُوْى
وَمِنْ حَاجَةِ الْمَحْزُونِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
نَدَامَى عَنْدَ الْمَنْذِرِ بْنِ عَرْقَ
أَرِي الْبَيْوَمِ مِنْهُمْ ظَاهِرُ الْأَرْضِ مُقْفَراً
وَيَبْدُوا أَنَّهُ وَصَلَ إِلَى نَجْرَانَ، فِي سَعِيهِ وَدَابِهِ، فَيَذَكِّرُ مَلْكًا كَرِيمًا،
وَقَدْ وَرَثَ الْمَجْدَ مِنْ جَهَةِ أَخْوَاهُ مِنْ آلِ جَفَنَةِ قَالَ^(٢):
وَمَا زَلْتُ أَسْمَى بَيْنَ بَابِ وَدَارَةِ
بَنِجَرَانَ حَتَّى خَفَتْ أَنْ اَنْصَرَا
لَدِي مَلِكٍ مِنْ آلِ جَفَنَةِ خَالِهِ
وَجَدَاهُ مِنْ آلِ اَمْرَى، الْقَيْسِ أَزْهَرَا
يُدِيرُ عَلَيْنَا كَائِنَهُ وَشِوَاهِهِ
مَنَاصِفُهُ وَالْحَضْرَمِيُّ الْمَحْبُّ^(٣)

(١) ديوانه: ٦١. وص ٧٠.

(٢) الديوان: ٦١. وآل جفنة هم ملوك الفساسنة.

(٣) الحضرمي: نسبة إلى حضرموت وهو الثوب.

وتراء بعد البعثة النبوية، يتوجه مع قومه معلنًا إسلامه بين يدي النبي ﷺ، ويقول فيه أبياتاً يمدحه فيها، تنم عن ذوق رفيع، وفهم ثاقب، فاعجب النبي ﷺ منطقه، وحكمته التي تدل على صفاء ذهن، وسلامة فطرة، ورقة في الإحساس، فضلاً عن أنها لا تصدر إلا عن رجل خير عجب، قال^(١):

بلغنا السماة مجدها وجدودنا وإنما لبني فوق ذلك مظها
ولما بلغ قوله:

ولا خير في حلم إذا لم يكن له
بوادر تحيي صفوه أن يكذرا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له
حلبم إذا ما أورد الأمر أصدرا
ففي الحلم خير من أمر كثيرة
وفي الجهل أحياناً إذا ما تعذر
كذاك لعمرى الدهر يومان فاعرفوا
شروع وخير لا بل الشر أكثرا
دعا له النبي، كما مر سابقًا^(٢)، وأننى على حسن كلامه.

وأغلبظن، أن القصيدة الرائبة هذه، أضاف إليها، فيما بعد، أبياتاً أخرى، وذلك واضح من خلال التفكك في أفكارها، حيث لا تجد رابطاً يجمع بين أجزائها، فضلاً عن تعدد موضوعاتها، من مدح وفخر وهجاء: قال^(٣) بعد إسلامه بصور جهاده في سبيل الله، وخوفه

(١) الأغاني: ٩/٥. والدبوان: ٦١.

(٢) ص ٣٤ من هذا الكتاب.

(٣) الأغاني: ٩/٥.

من الله تعالى وحرصه على رضاه:

اتَّبَعْتُ رَسُولَ اللَّهِ إِذْ جَاءَ بِالْمُلْكِيِّ
وَيَتَّلَوُ كِتَابًا كَالْمَجْرَةِ نَبِرَا
وَجَاهَدْتُ حَقَّ مَا أَحَسْ وَمَنْ مَعِي
سَهِيلًا إِذَا مَا لَاحَ ثُمَّتْ غُورَا
أَقْبَمْ عَلَى التَّقْوَى وَارْضَى بِفَعْلِهَا
وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ الْمُخْوَفَةِ أَوْجَرَا^(١)

وما يدعونا إلى الاعتقاد بأن القصيدة لم تنظم دفعة واحدة، اختلاف الروايات، في المجموع الذي بين أيدينا ثلاثة روايات تختلف الواحدة عن الأخرى من حيث عدد الآيات، وكذلك في التقديم والتأخير.

وقد رجح^(٢) ابن السكري عن ابن عبد البر، بأن النابغة قد أنسد القصيدة كلها لرسول الله ﷺ وأورد منها أربعة وعشرين بيتاً، بينما يميل^(٣) الدكتور شوقي ضيف إلى ما ذكرناه أولاً، لأن بعض روایات القصيدة أكثر من ذلك بكثير، ويصل عدد أبياتها إلى مائة وعشرين.

ويقضي النابغة فترة يجاهد في سبيل الله، في بلاد فارس وغيرها، ثم يعود إلى المدينة ومنها إلى البداية، ثم يعود، فينفجر الصراع بين علي بن أبي طالب ومعاوية، فيقف إلى جانب علي رضي الله عنه

(١) أوجر: خائف.

(٢) الطبقات: ١/١٣٠.

(٣) العصر الإسلامي: ١٠١.

فيتظم في صفوف جيشه ويقاتل معه، ومدحه ويجهو خصوصه فقال^(١) يوماً:

أن علياً فحلها العناق^(٢)
وامه غالى بها الصداق^(٣)
إن الالى جازوك لا أفادوا
قد علمت ذلکم الرفاق^(٤)
لم سباق ولکم سياق
ستقم الى نهج المدى وساقا^(٥)
في ملة عادها النفاق

وفي مدحه لعلي رضي الله عنه، قد عرض معاوية واتهمه هو وجاءه بالتفاق وأنهم يسيرون على غير هدى، بينما يمثل الإمام علي الرجل الصالح الكريم، الذي لا يُجاري ولن يبلغ أعداؤه مرتبته، ولكن هذه المفاضلة أثارت على الشاعر الجعدي نسمة معاوية فأسرّها له، وكتب إلى مروان بن الحكم أن يأخذ مال الجعدي وأهله، وتريث حتى قدم معاوية إلى الكوفة، فمثل بين يديه وأنشده:

لم تأت أهل المشرقين رسالتي
وأي نصبح لا يبيت على عنثٍ
سلكتم فكان الشر آخر عهديكم
لئن لم تداركم حلوم بني حرب

(١) الأغاني: ٣١/٥ . والديوان: ١٩٢ .

(٢) المongan: الكوفة والبصرة: العناق: الكريم .

(٣) المجاج: السيد .

(٤) ليس لها عراق: ليس لها غابة .

ثم ينهُد ويتَوَعَّد إذا لم يرَهُ عليه ماله وأهله، بأنَّه سيفوض ويستقم
لأنَّهم ظلموا فقال^(١):

صَبُورْ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَرْءُ كَلَهُ
سُوِيَ الظُّلْمِ إِنِّي إِنْ ظَلَمْتُ سَاعِدُ

فالتفت معاوية حينئذ إلى مروان فقال: «ما ترى؟ قال: أرى الأَ
نْرَدُ عَلَيْهِ شَيْئًا». ولكن معاوية خشي، إنَّ لم يرَهُ عليه ماله وأهله أن
يهجوه بكلام تحدث فيه العرب، فامر بأن يرَهُ عليه كل ما أخذ منه.

ومن الذين اتصل بهم من أهل الحكم والرياسة عبد الله بن
الزبير، عندما أجذبت الباذنة وأقحمته السنة فدخل على ابن الزبير
المسجد الحرام فأنشده قوله^(٢):

حَكِيتْ لَنَا الصَّدِيقُ لِمَا وَلَيْتَنَا
وَعُثْمَانَ وَالْفَارُوقَ فَارْتَاحَ مُعَيْمُ
وَسُؤِيْتَ بَيْنَ النَّاسِ فِي الْحُقُّ فَاسْتَوْرَا
فَعَادَ صَبَاحًا حَالَكُ الْلَّيْلُ مُظْلَمُ
أَنَّاكَ أَبُو لَيْلٍ يَحْبُبُ بِهِ الدَّجْسِي
ذُجَّسِ الْلَّيْلِ جَوَابُ الْفَلَةِ عَثْمَنُ^(٣)
لَتَجْرِيْ مِنْهُ جَانِبًا زَعَزَعَتْ بِهِ
صَرْوَفُ الْلَّيْلِيِّ وَالزَّمَانِ المُصَمَّمُ

(١) الآيات كلها وخبر معاوية في الأغاني ٥/٣١.

(٢) الأغاني: ٥/٢٨، ما عدا البيت الثاني فهو في الديوان: ٢٠٥. وتجدر الإشارة
إلى أنَّ عبد الله بن الزبير كان يويع له بالخلافة بعد وفاة معاوية وقد بايعته
بلاد الحجاز واليمين ومصر والعراق وأجزاء كبرى من الشام.

(٣) عثمن: جمل شديد طويل.

فقال^(١) ابن الزبير: «هُوَنْ عَلَيْكَ أَبَا لَيْلٍ، فِيَنْ الشِّعْرِ أَهُونْ وَسَائِلُكَ عَنْدَنَا... . وَلَكُنْ لَكَ فِي مَالِ اللَّهِ حَقَّانٌ: حَقٌّ بِرَوْبِنْكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَحَقٌّ بِشِرْكِتَكَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ فِي قَيْنَهِمْ»، ثُمَّ أَخْذَ بِيَدِهِ فَدَخَلَ بَهْ دَارَ النَّعْمَ، فَأَعْطَاهُ قَلَاتِصَ سَبْعًا وَجَلَّا رَجِيلًا^(٢)، وَأَوْقَرَ لَهُ الْإِبْلَ مُبْرَأً وَمُغَرَّأً وَنِيَابًا فَجَعَلَ النَّابِغَةَ يَسْتَعْجِلُ فِيَاكِلَ الْحَبْ صَرْفًا، فَقَالَ أَبِنَ الزَّبِيرِ: «وَبِعَ أَبِي لَيْلٍ! لَقَدْ بَلَغْتَ بِهِ الْجَهَدَ». فَقَالَ النَّابِغَةُ: «أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا وَلَيْتُ قَرِيشَ فَعَدْلَتْ، وَاسْتَرْحَتْ فَرَحْتْ، وَحَدَّثَتْ فَصَدَقْتْ، وَوَعَدَتْ خَيْرًا فَأَنْجَزْتَ فَانَا وَالنَّبِيُّونَ فُرَاطَ الْقَاصِفِينَ»^(٣).

ويُتَضَّعَّ من خَلَالِ مَا تَقْدِيمُهُ أَنَّهُ يَمْدُحُ بِالْمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ، الْمُسْتَمَدَةِ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَجِئَنِي يَمْدُحُ النَّبِيَّ ﷺ بِشَيْدِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ، الَّتِي أَصَاءَتْ لِلنَّاسِ وَأَرْشَدَتْهُمْ إِلَى طَرِيقِ الْخَيْرِ، وَلَا غَرُورَ أَنَّهُ يُشَبِّهُ الْكِتَابَ الْكَرِيمَ بِالْمَجْرَةِ تَشَبِّهَا حَيَاً وَعَلَى طَرِيقَةِ شَعْرَاءِ الْعَصْرِ مِنْ مُخْضَرِمِينَ وَغَيْرِهِمْ. وَفِي مَدْحَهِ لِلْإِمَامِ عَلَىٰ، يَسْتَعْمِلُ مِنَ الْمَعَانِي الْبَدُوِيَّةِ، مَا حَضَرَهُ بِمَا يَلْاتِمُ الْمَنَاسِبَةَ، وَيَعْبُرُ عَنْ إِعْجَابِهِ بِعَاطِفَةِ صَادِقَةِ حَمِيمَةَ، مُبْدِيًّا اِنْفَعَالًا وَحَسَانًا شَدِيدَيْنِ تَأْيِيدًا لِلْمَدْحُوحِ وَتَعْرِيضاً بِالْخُصُومِ. فَالْمَدْحُوحُ «كَالْفَحْلُ» الْكَرِيمُ، فِي الشَّدَّةِ وَالْحَزْمِ، وَهُوَ السَّيِّدُ الْمَطَاعُ الْأَيْضُ كَرِيمُ الْحَسْبِ وَالنَّسْبِ، وَالْبَدْ وَاللَّسَانِ، يَسِيرُ عَلَى النَّهْجِ السَّوِيِّ. وَكَذَلِكَ فِي مَدْحَهِ لِابْنِ الزَّبِيرِ، فَلَيْهِ يُشَبِّهُ بِنَسْبِهِ مِنَ الْخَلْفَاءِ، أَبِي بَكْرٍ وَعَثَيْرَانَ وَعُمَرَ، وَيُشَنَّدُ عَلَى العَدْلِ

(١) الْخَبِيرُ بِكَامْلِهِ فِي الْأَغْنَىِ: ٥/٢٨ وَمَا بَعْدَهَا.

(٢) الْجَهْلُ الرَّجُلُ: الْقَوِيُّ السَّرِيعُ. وَالْقَلَاتِصُ: جَمْعُ الْقَلَوْصِ: النَّاقَةُ الشَّابَةُ.

(٣) الْفُرَاطُ: الْمُتَقَدِّمُونَ إِلَى الشَّفَاعَةِ أَوِ الْحَوْضِ. الْقَاصِفُونَ: الْمَزْدَحُونُ. وَقَدْ أُورِدَ السَّيِّطُونِ الْحَدِيثُ فِي «الْمَرْثُ الشَّيْرَةِ».

والتسوية بين الناس، فلا بغي ولا ظلم، وهو يعرف كيف يستدرّ
العطف ويثير النخوة في نفس الذي يخاطبه حين يذكر رحلته في الليل
المظلم ويشير إلى معاناته وتعبه وإسلامه، ولا تخلو الآيات من أثر
البادية هي أيضاً، ويتجلى ذلك بالفاظ البيتين الآخرين «جواب الفلاة
عثمن».

إذاً، يستمدّ الجعدي معانٍي المدحية من بيتهين: من الجاهلية ومن
الإسلام، حيث لا ينافق نفسه فيأخذ من البيئة الأولى ما أبقى عليه
الإسلام من العادات التي تُعدّ في المأثر والفضائل.

المجاء:

من الأغراض الشعرية التي أذكّتها الحياة الجاهلية، بما فيها من
منافرات وصراعات دموية، لم تكن لتتوقف حتى بعث الله رسوله
الكريم ﷺ. ارتبط الماجاء إذاً، وبالدرجة الأولى، بالمعصيات
وحالات العداء المستحكمة، ولما زال أثر القبلية في الإسلام كان من
الطبيعي أن تراجع حدة اللهجة السائدة بين المتخاصمين. والنابغة
الجعدي، قد أدرك ذلك جيداً، لكنه لم يستطع أن يتخلص تماماً من
رواسب الماضي، سواء من ناحية ميلوه العاطفية نحو بنى قومه
وارتباطه بهم ارتباطاً وثيقاً إلى حد التعلّق، أو من ناحية الحدة في
الطبع، وهي موروثة بدورها من حياة الصحراء والبادية.

فمن ذلك أن بعض أقاربه من بنى عامر رعوا^(١) زرعاً بالبصرة
فبعث أبو موسى الأشعري^(٢) في طلبهم، فتصارخوا: يا آل عامر!

(١) الأغاني: ٣٠/٥

(٢) هو والي العراق.

فخرج النابغة ومعه عصبة له، فأتى به إلى أبي موسى، فسأله عن سبب خروجه فقال: «سمعت داعية قومي»، فضربه أسواطاً، فقال^(١): النابغة يعرض به وجهه:

رأيت البكرَ بكرَ الأشعرينا
فإن يكن ابن عفانَ أميناً
فيما قبرَ النبيِ وصاحبيه
فلم يبعثْ بك البرُّ الامينا
الآ يا غوثنا لو تسمعونا

وهو بنظره كالبكر، وليس من الأمانة في شيء، لذلك يستغث بالنبي منه. ومع ما ذكرته من طبيعته وتأثيره بالجاهليين من الناحية العصبية، فإن الإسلام قد غير في الكثير، فما هاجى أحداً إلا أغلب، ومن هاجهم من الشعراة أوس بن مغراة، ولليل الأخيلية، وكعب بن جُعيل فقلبوه جميعاً.

أما خبره مع أوس بن مغراة فقد بدأ عندما أغار بسر بن أرطاة، وكان من قواد معاوية، على حي لبني سعد بالفلج بين ظهري بني جعدة، فقتل منهم وأسر فقال^(٢) أوس:

مُشَرِّينَ تَرَعَّونَ النَّجِيلَ وَقَدْ غَدَتْ
بِأَوْسَالِ قَنَالِكُمْ كَلَابُ مَزَاحِمٍ
فَقَالَ^(٣) النَّابِغَةُ رَدًا عَلَيْهِ:

لَعْمَرُ ابْيَكَ يَا وَبْرَ بْنَ اُوسٍ
لَقَدْ أخْزَيْتَ قَوْمَكَ فِي الْكَلَامِ
لَقَدْ أخْزَيْتَهُمْ خَرْزِيًّا مِيَّنَا
مَقْبِيًّا مَا أَقَامَ ابْنَا شَمَامٍ^(٤)

(١) الأغان: ٣٠/٥ والديوان: ٢١٠.

(٢) الأغان: ١١/٥.

(٣) المشر: الذي بسط ثوبه في الشمس. النجيل: جنس من الحمض.

(٤) الديوان: ٢٠١. والخبر مع البيت الثالث في الأغان: ١٢/٥.

(٥) شام: جبل يبلاد بني قثير. وابنا شام هضبتان تصلان به.

منْ أكلتْ لحومكِ كلايِ
أكلتْ يديكِ منْ جَرَبْ تهامي^(١)
أما النابغة فإنه كان يُؤكِّد ما ذهبنا إليه آنفًا من أنه كان مغلبًا في
المجاء، إذ قال^(٢): «إني وإياه^(٣) لنبتدر بيتاً، إينا سبق إلىه غالب
صاحبها»، فلما بلغه قول أوس:
لعمُرُكِ ما تبلى سراييل عاصِرٍ من اللَّؤمِ مادامتْ عليها جلوذُها
قال النابغة: «هذا البيت الذي كنا نبتدر إليه». فغلب أوس
عليه.

وقد التقى به مرة في البصرة بسوق المربد فتنافرا وتهاجبا، وقد
شهدما من الشعرا العجاج والأخطل وكعب بن جعيل، فقال
أوس:

لَمَّا رأثْ جعدة مَنَا ورداً
ولَئِنْ نَعَامَّا في الْبَلَادِ زَبَداً^(٤)
إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ مَعْدَداً
كَاهْلَهَا ورَكْنَهَا الأَشَدَّا^(٥)
فقال العجاج:
كُلَّ امْرَىءٍ يَعْدُو بِمَا اسْتَعْدَا
وقال الأخطل:

وَانِّي لِقاضٍ بَيْنَ جعدة عاصِرٍ
وَسَعِيدٍ قضاة بَيْنَ الْحَقِّ فِي صَلَا^(٦)
وعوف بن كعب أكرم الناس أولاً
أبو جعدة الذئب الخبيث طعامه

(١) تهامي: نسبة إلى نهامة، ووبر بن أوس هو أوس بن معراه منه.

(٢) الأغاني: ١٢/٥.

(٣) المقصود أوس بن معراه.

(٤) الورد: الجيش. الرباء من النعام: ما كانت سوداء اللون مختلط بياض أو
غبرة.

(٥) معَدٌ: من أجداد العرب وإليه ينتسب أوس بن معراه.

أما كعب بن جعيل، فهو الآخر، قد أدى بدلوه وناصر رفاته
وأعانهم على الجعدي وقال^(١):

إِنِّي لِقَاضٍ قَضَاهُ سُوفَ يَتَبَعَهُ
مِنْ أَمْ قَصْدًا وَلَمْ يَعْدِ إِلَى أَوْدٍ^(٢)
فَصَلَّاً مِنَ الْقَوْلِ تَائِمٌ الْقَضَاهُ بِهِ
وَلَا أَجُورٌ وَلَا أَبْغِي عَلَى أَحَدٍ
نَاكِتٌ بِنْوَعَامِرٍ سَعْدًا وَشَاعِرَهَا
كَمَا تَنْبَكُ بِنْوَعَسٍ بِنْيَ اسْدٍ

وإذا تضافر هؤلاء على الجعدي وتفوقوا عليه في الهجاء، فإن لذلك
أسبابه ودوافعه، فالأنخطل وكعب بن جعيل، كلامها شاعران أموريا
الموى وكذلك العجاج، بينما كان السابعة علوى التزعة، وهو فضلًا
عن ذلك، قد استضاء بنور الإسلام، وتلا القرآن وتذكرة، وكان
يعاون في سبيل الله تعالى، فمثله، من الطبيعي أن يترفع عن فاحش
القول، ويتعفف عن الإنزالق في مساقط الشر والمقاصد، قال^(٣):

يَا ابْنَ الْحَبَّابَ إِنِّي لَوْلَا إِلَّهٌ وَمَا
قَالَ الرَّسُولُ لَقَدْ أَنْسَيْتُكَ الْخَالَا
وَقَبْلٍ^(٤) إِنْ رَجُلًا مِنْ قُشَّيرٍ - يَدْعُ ابْنَ الْحَبَّابَ (وَهِيَ أُمُّهُ) وَاسْمُهُ
سَوَارٌ بْنُ أَوْفٍ بْنُ سَبْرَةَ - فَدَهْجَاهُ وَسَبَّ أَخْوَاهُ^(٥) مِنْ أَزْدٍ فِي أَمْرٍ كَانَ

(١) الأغانى: ١٣/٥.

(٢) الأود: الإعوجاج.

(٣) ديوانه: ١٠١.

(٤) الأغانى: ١٣/٥.

(٥) الأغانى: ١٤/٥.

بين قشير وبينبني جعده وهم بآصبهان متحاورون، فرَّد عليه
الجعدي بقصيدة عُرفت باسم الفاضحة لأنَّه ذكر فيها معايب
ومساوىَ قُشير وعُقيل، وكل ما كانوا يُسِّبون به، وفخر بقومه
ويفضائلهم، وبسائر بطون بنى عامر سوى قُشير وعُقيل، قال^(١):

جهلتُ على ابن الحبا وظلمتني
وحيثت قولًا جاء بيتاً مضلاً
عدلتُ قُشيراً إذ فخرت فلم أنا
بذاك ولم أزمفك عن ذاك معزلاً
يَتَّهم خصمه بالجهل والظلم، وقد فاخره بكثرة سادات قُشير، وهو
يعلم بأنَّ قوم الشاعر أكثر عدداً وأعزَّ، لذلك فإنَّ الجعدي يعتبر أنَّ
ذلك الادعاء لا يُسُّوه ولا ينتفع به.

وقال^(٢) في قصيدة أخرى يهجو:

يا بن الحبا إنفي لولا الإله وما
قال الررسول لقد انسأتك الحالاً
ولقد وسمستك ونَسْمَةً لا يغتبه
ثوباك يبرق في الأعناق أحوالاً
إنْ تَهْمُمْ فبنا الناقصات وقد
كنا نقدم للظلّام أنكالاً^(٣)
فإنَّ صخرتنا أعيت إباك ولا
يألوها ما استطاع الدهر إخباراً^(٤)

(١) الديوان: ١١٤. الأغاني: ١٤/٥.

(٢) الديوان: ١٠٠. وبعض الآيات في الأغاني: ١٤/٥.

(٣) أنكال: جمع بكل أي القيد.

(٤) يالو: يقْصُرُ. الإيجاب: الانتفاع بالنافقة.

ينسب الجعدي خصمه سوار بن أوف إلى أمه استصغاراً له وتحقيراً
ل شأنه، وهو لم يفحش له القول لأنه مسلم يخاف الله تعالى ويلزمه
أوامر الدين بعدم الافتداء والنيل من الأعراض، ولكنه ينسب إليه
والي أبيه وقومه الجبن والذلة والصغر، فيقول^(١):

و يوم مكّة إذا ما جدت نفراً
حاصروا على عقد الأحباب أزواجاً
عند النجاشي إذ تعطون أيديكم
مفرّعين ولا ترجون إرسالاً^(٢)
تلك المكارم لا قعبان من لبن
 شيئاً باء فعادوا بعد أبوالا
وبناء الأبيات، بعد ذلك مفاخرأً عليه بما كسبوه في الأيام والواقع
التي كانت لهم، ولم يذكر لهم إلا نجدتهم لرجل من جعدة بشرة ماء
وآخرى من لبن.

وفي إطار القصة عينها قال^(٣):

أبلغ قثيراً والحريش فما ذا رد في أيديكم شتمي^(٤)
ولا بلغ ما قاله النابعة، ما أوردناه آنفأ، ليل الأخيلية^(٥) ثارت
وغضبت لقومها ولزوجها سارة، ردت عليه بقصيدة منها:
وما كنت لو قاذفت جل عشيري لاذكر قفي حازير قد تتملا

(١) الديوان: ١٠٤. والأغاني: ١٤/٥.

(٢) ماجد: فاخر. أزواجال: جمع زول: فني طريف.

(٣) إعطاء اليد: كنابة عن الذلة والانقياد.

(٤) الأغاني: ١٥/٥. والديوان: ٢٣٤.

(٥) الحريش هو الحريش بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعه

(٦) هي ليل بنت عبد الله بن الرجال بن شداد بن كعب، شاعرة صصيحة، توفيت سنة ٨٠ هـ.

(٧) حازير: حامض. تتمل: صار رغوة.

وهي تستنكر عليه ما قاله في البيت الثالث من المقطوعة السابقة،
وهكذا استعرت المهاجاة بينهما بسبب قصة سرة.
أثارته ليل بردها واستفزته فرد قائلًا^(١):

الا حبّبا ليل وقولا ها هلا
فقد ركبت امرأً اغراً عجلًا^(٢)
بريزينة بل البرادين ثغرما
وقد شربت من آخر الصيف أبلًا^(٣)
دعى عنك تهجة الرجال وأقبل
على اذلغي يلا استك فيشلا^(٤)
وكيف أهاجي شاعرًا رعه استه
خضب البنان لا يزال مكملا
وهو إذا شبّهها بالخيل، واتهمها بالفجور، مما لا يحمد عليه، إلا
أنها ردت عليه وقالت:

أنا بُغ لم تتبغ ولم تك أولاً^(٥)
و كنت صنياً بين صدرين نجهلاً^(٦)
للزيمك إلأ وسط جعلة بعجلاء^(٧)

(١) الديوان: ١٢٣ . والاغاني: ١٦/٥ .

(٢) «أمرأ» في الأغاني: ١٦/٥ «أبلأ» وهو ما يوافق المعنى، ويذكره ما جاء في
البيت الثاني من شربها للبن الأليل الذي كانوا يزعمون أنه إذا شربته المرأة
اغتنمت. قوله: «هلا» كلمة زجر تزجر بها الإناث من الخيل إذا نزي علىها
الفحل لتسكن.

(٣) بريزينة: تصغير بردونة وهي التركى من الخيل.

(٤) اذلغي: نسبة إلى اذلغ بن شداد وكان نكاحاً. الفيشل: رأس الذكر.

(٥) الصني: المسيل. صدآن: جبلان. عجعل: أرض لا يهتدى فيها. والآيات في
الاغاني: ١٧/٥ .

تعيرني داء باسمك مثله وأي خصان لا يُقال لها هلا
ويروى أنّ بني جعدة، لما بلغهم قوتها هذا، استأواوا استياءً
شديداً، وقرروا أن يستعدوا عليها صاحب المدينة، أو الخليفة لأنها
نالت منهم وهشمتهم، فلما أتاهما خبرهم قالت^(١):

أنا من الأنباء أن عشرة
بشروران يُزجون المطئ المذلة^(٢)
فبروح ويغدو وفدهم بصحيفه
ليستجلدوا لي، ساء ذلك معتملا

وفي نهاية الكلام على هجاء الجعدي، بات واضحـاً أنه لم يبلغ ما
بلغه أقرانه في هذا المجال، لأنـه لم يكن مهـيـتاً نـفـياً لـذـلـكـ، ولـمـ يـكـنـ
تدـيـنهـ ليـسـمحـ لهـ آنـ يـقـدـعـ، ولـوـ آنـهـ قدـ اـقـدـعـ فـعـلـاـ فيـ هـجـائـهـ لـلـبـيلـ
الـأـخـيـلـيـةـ. ولـكـنـناـ لـأـنـهـ يـطـيلـ فيـ هـجـائـهـ لـأـحـدـ مـنـ هـجـائـمـ كـمـ فعلـ
فيـ الـوـصـفـ وـالـفـخـرـ، فـلـيـسـ مـنـ طـبـعـ السـبـ وـالـشـتـمـ وـهـوـ لـاـ يـجـرـوـ
لـإـشـبـاعـ شـهـوـتـهـ كـمـ كـانـ غـيـرـهـ مـنـ الـمـعـصـبـيـنـ قـبـلـاـ فـأـفـلـتـواـ لـالـسـتـهـمـ
الـعـنـانـ، دـوـنـ رـادـعـ مـنـ خـوـفـ أـوـ وـجـلـ أـوـ خـجلـ.

الفخر :

إذا تحدثنا عن المجاء، لا بد لنا من المجيء، إلى خبر الفخر، لأنـهـ
يرتـبـطـ، هوـ الأـخـرـ، بالـحـيـاةـ الـبـدـوـيـةـ وـالـعـصـبـيـةـ الـقـبـلـيـةـ، حيثـ يـفـاخـرـ
الـشـعـرـاءـ بـأـنـفـهـمـ وـبـقـائـلـهـمـ ذـاكـرـيـنـ أـيـامـ الـانتـصـارـاتـ، شـهـاتـةـ بـالـأـعـدـاءـ
وـتـحـقـيرـاـ لـهـمـ، فالـشـاعـرـ لـسـانـ قـبـيلـهـ وـالـنـاطـقـ بـاسـمـهـاـ، وـكـانـ الجـعـديـ

(١) الأغانى: ١٨/٥.

(٢) شوران: جبل بديار بنى جعدة.

ينطق، حقاً، باسم قبيلته، وهو لا يفصل عنها ولا يهرب من المواجهة من خلاتها، لذلك نراه كثير التغنى بأعجاد قومه في مواقعهم التي جعل من شعره سجلأً لها قال^(١):

مُلَّ سَالْتُ بِبِوْسِيْ رَحْرَحَانْ وَقَدْ
ظَنَّتْ هَوازَنْ أَنَّ الْعَزَّ قَدْ زَالَ^(٢)

وهذا البيت هو من قصيدة مررتنا على ذكر بعض أبياتها، وكان هجا فيها قوم سارة زوج ليل الأخيلية، ومن الأيام التي فخر بها يوم وادي نساح^(٣) ويوم مكة، وبمناسبة مقتل علامة الجعفي، وشراحيل بن الأصحاب الجعفي، ويوم شراحيل هذا تفتخر به مصر كلها.

ومن فخره في قصيده الرائية قوله^(٤):

وَإِنَا أَنَّاسٌ لَا نَعُودُ خَيْلَنَا
إِذَا مَا تَقْبَلْنَا أَنْ تُخْيِدَ وَتُنَفِّرَا
وَتُنَكِّرُ بِوْمَ الرُّوعِ الْوَانِ خَيْلَنَا
مِنَ الطَّعْنِ حَقِّ تَحْسِبَ الْجَحُونَ اشْقَرَا
يَفْخَرُ بِالشَّجَاعَةِ وَالْأَقْدَامِ فَلَيْسَ غَرِيباً عَلَى خَيْلِهِمْ أَنْ تَطْعَنَ أَوْ
تَقْتَلَ فَتَغْيِيرُ الْوَانِهَا مِنْ كَثْرَةِ الطَّعَانِ وَالْعِجَاجِ.
وَيَتَابِعُ قَاتِلًا:

(١) الأغاني: ١٥/٥.

(٢) رحرحان: جبل قريب من عكاظ خلف عرفات.

(٣) نساح: واد بالسماء. وفي الأغاني: ١٨/٥، تفصيل حول هذه الأيام وأخبارها.

(٤) ديوانه: ٥٠.

وَمَا غَلَبْتُ مِنْ غَصْبَةٍ عَرَبِيَّةٍ
 كَمِيلَادَنَا مِنَا أَعَزَّ وَأَكْبَرَا
 وَاسْرَعَ مِنَا إِنْ طُرِدَنَا انْصَارَفَهُ
 وَأَكْرَمَ مِنَا إِنْ طُرِدَنَا وَأَظْفَرَاهُ
 وَسِيرَ عَلَى هَذِهِ الشَاكِلَةِ ذَاكِرًا أَعْمَالَ قَوْمَهُ الْبَطْوَلِيَّةَ ضَدَّ حَصْوَمَهَا
 مِنَ الْقَبَائِلِ الْأُخْرَى:

وَنَحْنُ حَدَرَنَا رَهْطٌ سَامَّةٌ بَعْدَمَا
 أَبْنَوْا مِنَ الْأَجْبَابِ مُبْدَئٌ وَمُحْضَرٌ
 وَكَنْدَةٌ كَانَتْ بِالْعَقِيقِ مُفَبِّمَةٌ
 وَعَلَكُ فَكَلًا قَدْ طَحَرْنَاهُ مَطْحَرًا^(١)
 وَنَحْنُ أَزْلَنَا مَذْحَجَأً عَنْ دِيَارِهَا
 وَهَدَانِ أَسْقَبَنَا السُّمَّامَ وَحِيرَا
 وَيُذَكَّرُ فِي الْفَصِيَّلَةِ ذَاتِهَا، مَا فَعَلُوهُ بِالْقَبَائِلِ الْأُخْرَى، حِيثُ
 أَزَّلُوهَا عَنْ مَوَاقِعِهَا فَسَيَطَرُوا عَلَى نَجْرَانَ وَمَنْعَمَ عَنِ الْأَعْدَاءِ.

وَعَلْقَمَةُ الْجَعْفِيِّ أَدْرَكَ رَكْضَنَا
 عَلَى الْخَيْلِ إِذْ صَامَ النَّهَارَ وَهَجَرَا
 وَنَحْنُ ضَرَبَنَا بِالصَّفَا آلَ دَارِمٍ
 وَذَبِيَّانَ وَابْنَ الْجَوَنِ ضَرَبَ مَذْكُرَا
 أَرْحَنَا مَعْدَدًا مِنْ شَرَاحِيلٍ بَعْدَمَا
 أَرَاهُمْ مَعَ الصَّبَعِ الْكَوَاكِبَ مُظَهِّرَا
 وَلَا تَنْجُو نِسَاءُ الْخَصْمِ مِنْ نَصِيبِهَا، قَالَ^(٢):

(١) طَحَرُونَ: قَذْفٌ.

(٢) دِيَوَانُهُ: ٥٧.

ولم ير فيمن وجّن الجلد نسوة
 أبْ لاضياف واقبح منظراً
 وهن قبيحات المناظر إلى جانب بخلهن ولؤمهنَّ:
 وأعظم أقداماً وأصفر أسرقاً وأعظم أفواهاً وأرحب منخراتٍ^(١)
 وبنو سعد بعيدين عن المفاحير ليس لهم في المجدِ نصيب على زعم
 الشاعر، فهم سارقون فاسقون لثامَ:

إذا ذكر السعدي فخراً فقل له
 تأخر فلم يجعل لك الله مفخراً
 إذا أدلج السعدي أدلج سارقاً

فأصبح مخطوماً بلزمٍ معذراً^(٢)

يسوقنا ما ذكرناه إلى القول بأن هنالك تداخلاً بين الفخر والمجاء،
 فإذا فخر الشاعر فإنه سوف يهجو والعكس صحيح، لأن المقصود من
 الفخر أساساً إغاظة الخصم والترفع عليه، ولا يتم ذلك إلا بتتنقيسه،
 وتحقيره، ويبلغ الانتقاد مداه في السُّبُّ والشتم وهذا ما نهى عنه
 الإسلام، لذلك قصر الجعدي فيه بالمقارنة مع الأخطل وغيره من
 تغلبوا عليه.

وهذا هو يقول مفاحيراً بما قام به من بطولة:
 وغارة تسر المقاتَب قد سارعتُ فيها بصلدمٍ ضمِّمٍ^(٣)

(١) ديوانه: ٥٨.

(٢) ديوانه: ٥٩.

(٣) ديوانه: ١٥٥. والصلدم: الفرس الشديد.

ولكنه سرعان ما يستطرد إلى وصف الفرس ليعود بعد ذلك إلى العتاب.

وخلاصة ما يقال في الفخر، من حيث المعانٰي قد سار على نهج الجاهلين في منافاتهم. وأغلب الظن أن أكثر مفاخراته كانت قبل إسلامه، ولو أنه لم يفعل كغيره من نهشوا الأعراض وسيروا وشتموا من أجل أن يُظْهِرُوا أنفسهم، فقد حصر فخره بالشجاعة والبطولة والآقدام. وهو لم يفاخر بفضائله فحسب، بل فاخر بقوته ونوره بمنجزاته.

الوصف:

وهو فنٌ قديم يعتمد على دقة ملاحظة الشاعر، وعبريته في نقل المشاهدات المحسوسة، والمرئية منها خصوصاً، عن طريق الكلام المنظوم شرعاً. ولكن الجاهلين لم يعرفوا الوصف كفنٍ مستقلٍ، بل اعتبروه من متّمامات الموضوع الأساس مدواً كان أم فخراً أم هجاء. والنابغة الجعدي، لم يختلف عن شعراء عصره في ذلك، إلا في كونه قد تفوق عليهم في وصف الفرس وهذا بشهادة النقاد فنقل^(١) ابن سلام أنه أوصف الناس لفرس. قال^(٢):

غداً مِرِحاً طرباً قلبَه
لَغِيبَنْ واصبَحَ لم يلْغِبِ^(٣)
كَانَ ثَائِيلَ ارْسَاغِهِ
رِقَابُ وَعُولٌ لَدِي مَشَرَبِ^(٤)

(١) طبقات فحول الشعراء: ٥٤، والقول ليونس بن حبيب النحوى.

(٢) ديوانه: ١٩.

(٣) لغيبن: تعين.

(٤) وعول: جمع وعل وهو ذكر الأروى. الارساغ: جمع رسم: ما بين الحافر والوظيف.

كأن حوافره مدبراً خضب وإن كان لم يخسب

فالفرس نشيط خفيف، وأرساغه غليظة منحنية غير متصلة حتى إنها لتشبه رقاب الوعول التي مددتها لتشرب. والحوافر سود كأنها خضب وهي لم تخسب. وهكذا فهو يمضي في وصف الفرس متدرجاً مفصلاً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فيذكر الساقين والذراعين والمكب والبطن والظهر، ثم يتغلب إلى صوته وسقوطه من أعلى إلى أسفل، قال^(١):

ويصهلُ في مثل جوف الطويِّ صهيلًا ببينَ للمغرب
ومن دون ذاك هويُّ له
هويُّ القطامي للارنبيَّا

وقال^(٢) في قصيدة أخرى:

عناجيچ جيادُنجُب
فُصِير الصُّنْعُ علِيهَا دائِيَا
جاوبته حُصُنْ مُسَكَّة
مثل عزف الجن في صلصلة
نجل فياض ومن آل سبل^(٣)
فيإذا الصاهيلُ منهنْ صهيلُ
أرناتُ لم يلوحها المتمَلُ^(٤)
ليس في الأصوات منهنْ صحلُ^(٥)

(١) ديوانه: ٢٣. الطوي: البتر المطوية. المغرب: من يملك خيلاً عرباً.

(٢) أخرى: السقوط. القطامي: الصقر.

(٣) ديوانه: ٨٦ وما بعدها.

(٤) عناجيچ: جياد الخيل. الواحد: عنجرج. فياض: اسم فرس لبني جعدة.
سبل: فرس لبني جعدة أيضاً.

(٥) أرن: نشط. المتمل: الكل، مسكة: مجلبة الأطراف.

(٦) عزف الجن: صوته. الصحل: البحة.

فجرى من منخريه زَيْدٌ مثلَ ما اثمرَ حِمَاضُ الجَبَلِ^(١)

إذاً هي خيول عربية أصلية كريمة، نشطة قوية، إذا صوّت جماعة منها، أجابتها جماعة أخرى فتختلط الأصوات فتصدر ضجيجاً وصخباً حتى لكان الجن تعزف، وحسان الشاعر يجري الزيد من منخريه أحمر كالدم من شدة نشاطه وخفته. وفي هذا المجال برع أيضاً من وصف البقرة الوحشية التي أضاعت ولداً لها فطافت تطلب نثلاث ليال وأيامها، ولا تملك شيئاً إلا أن تصبح:

فباتت ثلاتاً بين يومٍ وليلةٍ
وكان النكير ان تُضيّف وتجاراً
وياتت كان كشحها طيًّا ربيطةٌ
إلى راجحٍ من ظاهر الرملِ أعفراً^(٢)

ومن أحسن تشبيهاته - وهي كثيرة - قوله:
يمور الندى في مدربيها كأنه
فريدٌ هوى من سلكه فتحترا
وقد شبَّه الندى على المدى بحبات العقد من اللؤلؤ إذا هوى من سلكه وانفرط. وفي مكان آخر يتحدث عن حنين الخيل الذي يشبه فحيج الأفاغي قال^(٣):

فارسل في دُمِّي كان حنبها
فحبيح الأفاغي أَعجلَت أن تمحرا

(١) **الحِمَاضُ**: من البقول لها ثغر أحمر.

(٢) **الديوان**: ٦٤. والكثح: البطن والخاصرة. الربطة: ملاعة ذات لفتين أو ثوب لين رقيق.

(٣) **الديوان**: ٦٦.

لَا حَجَلْ قُرْ الرَّؤُوسِ تَحْلِبْ
عَلْ هَامَةِ بِالصَّيفِ حَتَّى تَمُورَا
وَيَصُفْ تَقْرِيبَ حَصَانَهْ فَائِلًا^(١):

يَبِدُ الْجَيَادُ بِتَقْرِيبِهِ وَيَاوِي إِلَى حُضُرِ مُلْهَبِ^(٢)
كُبِيتْ كَانُ عَلَى مَنْهُ سَبَائِكُ مِنْ قَطْعِ الْمَذْهَبِ^(٣)
وَبِنَاءً عَلَى كُلِّ مَا تَقْدَمَ، فَإِنَّ الْجَعْدِيَ قدْ بَرَعَ بِرَاعَةَ فَانْقَةِ فِي
وَصْفِ الْخَيْلِ كَمَا وَصَفَ الْبَقَرَةَ الْوَحْشِيَّةَ، وَلَمْ يُعَرِّفْ اهْتِمَامًا كَبِيرًا لِغَيْرِهِ مَا
مِنَ الْحَيْوَانَاتِ، كَالنَّاقَةِ أَوِ الْأَسَدِ.

الْحَكْمَةُ وَالْخَواطِرُ :

لَا تَصْدُرُ الْحَكْمَةُ إِلَّا عَنْ رَجُلٍ خَيْرٍ مُحْرَبٍ، وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ،
لَانَّ الْحَكْمَةَ قَوْلٌ مَأْثُورٌ يَهْدِي إِلَى إِصْلَاحٍ وَتَقْوِيمِ الْأَخْرَيْنِ، فَلَا بَدْ
لِلْحَكِيمِ مِنْ أَنْ يَمْتَلِكَ الْعِنَاصِرَ الَّتِي تَغْوِلُهُ أَنْ يَقُولَ الْحَكْمَةُ، وَالنَّابِغَةُ
الْجَعْدِيُّ الَّذِي عَاشَ دَهْرًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَدَهْرًا فِي الْإِسْلَامِ، قَدْ خَبَرَ
الْحَيَاةَ وَالنَّاسَ، وَرَأَى الْخَلُوَّ وَالْمَرَّ، وَعَايَشَ الْأَشْرَارَ وَالْأَخْيَارَ، وَفَهِمَ
الْإِسْلَامَ حَقَّ الْفَهْمِ، وَحَمَلَ الدُّعَوَةَ وَبَلَغَهَا وَعَمِلَ عَلَى نَسْرَ مِبَادِئِهِ
الَّذِينَ هُنَّ حَنِيفُونَ بِكُلِّ مَا أُوتُوا مِنْ قُوَّةٍ وَعُقْلٍ وَعِلْمٍ. لِذَلِكَ، نَرَاهُ قدْ جَعَلَ
مِنْ مَعْطِيلَاتِ الْحَكْمَةِ مَا يَجْعَلُهُ قَادِرًا عَلَى الْوَعْظِ بَعِيدًا عَنِ التَّكْلِفِ
وَالْعَنَاءِ، فَجَاءَتْ حُكْمَهُ مَفْعُومَةً بِعَنْصَرِ الْخَيْرِ، دَاعِيَةً إِلَى الْمَكَارِمِ

(١) الْدِيَوَانُ: ٣١.

(٢) التَّقْرِيبُ: أَنْ يَرْفَعَ الْحَصَانُ يَدِيهِ وَيَضْعُهَا مَعًا، وَهُوَ ضَرِبٌ مِنَ الْعَدُوِّ.
الْحُضُرُ: الْعَدُوُّ. مُلْهَبُ: مُثِيرٌ لِلْهَمْبِ لِشَذْتَهُ . وَيَبِدُ: يَغْلِبُ.

(٣) كَبِيتْ مَذْهَبٌ: تَعْلُوْ حَرْنَهُ صَفَرَةً.

والفضائل بمعناها الشامل والواسع. فها هو يتناول الحلم والجهل، ولا ريب أن القضية كانت من قضايا عصره الكبرى وخصوصاً في الbadia قبلبعثة النبوة، حيث الطيش والسفه، قال^(١):

وَلَا خَيْرٌ فِي حَلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
سَوَادُّ نَحْمَى صَفَوةٌ أَنْ يَكُدْرَا
وَلَا خَيْرٌ فِي جَهَلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
فِي الْحَلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ
وَفِي الْجَهَلِ أَحْيَانًا إِذَا مَا تَعَذَّرَا
وَتَنَاهُوا عَنِ الْعِيشِ وَالْفَقْرِ وَالْعُسْرَةِ، فَعَبَرُوا عَنِ الْبُرُوقِ الْمَرِءِ وَيَقْضُونَ
رَاحَتَهُ، وَبَحْثُ عَنِ الْخَلْلِ، فَحَضَرَ عَلَى السَّعْيِ كَيْ لَا يَقْعُدُ فِي الْفَاقَةِ
أَوْ الشَّكْوَى، قال^(٢):

وَلَا تَرْضَى فِي عِيشٍ بَدُونَ وَلَا تَنْمِ
وَكَيْفَ يَنْأِمُ اللَّيْلَ مِنْ بَاتِ مَسْعَرَا
فَسِرْ فِي بَلَادِ اللَّهِ وَالتَّمَسْ السَّفَنِي
تَعْشِ ذَا يَسَارٍ أَوْ غَوْتَ فَتَعْذِرَا
لَمْ يَقْتَصِرْ الْأَمْرُ، فِي هَذِينِ الْبَيْتَيْنِ، عَلَى طَلَبِ الرِّزْقِ دُفْعًا لِلْفَقْرِ،
إِنَّا الْقَضِيَةَ تَعْلُقُ بِالْكَرَامَةِ، فَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَذَلُّ نَفْسَهُ، إِذَا كَانَ
قَادِرًا عَلَى الْكَسْبِ الشَّرِيفِ وَلَوْ أَفْوَى بِهِ السَّعْيُ إِلَى الْمَوْتِ. وَلِلْإِنْسَانِ
بِنَظَرِهِ، دُورٌ لَا بُدُّ أَنْ يَؤْدِيهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ فَيَأْمُرُهُ بِأَنْ يَضْرُّ الْأَعْدَاءَ

(١) ديوانه: ٧٣.

(٢) ديوانه: ٧٣.

والاشرار، إن لم يستطع أن ينفع أصدقاؤه، قال^(١):

إذا أنت لم تُنفع فضرّ فإنما

يرجح الفقى كبما يضرّ ويسُفِّعُ

ولعمري، إن الجعدي بلغ في البيت من حسن المقابلة ما لم يبلغه غيره، فالامر بالضرر ليس مقصوداً على الإطلاق فهو أراد أن يجتَّ عل النفع لمن يستحقه، والإضرار كذلك لمن يستحق الضرر. ويستمر في نزعته الحبيرة، فيقرّ حقيقة قديمة، ويدرك بها لعل العاقل يتذكّر وهي صراع الخير والشر، والشر أكثر انتشاراً قال^(٢):

كذاك لعمري الدهر يومان فاعرفوا

شروعٌ وخيارٌ لا بل الشُّرُّ أكثرًا

من هنا، كانت دعوته، في ما تقدّم، من أمره بإضرار من يستحق، وكأنه أراد أن يلتف إلى مبدأي الثواب والعقاب، فالإحسان لمن أحسن والعقاب لمن أساء. قال^(٣) في هذا المعنى:

فإنّ لدى الموت مندوحة وإن العقاب على المذنب^(٤)

ومن ثأملاته التي تتضمّن تقريراً لواقع الحال، وفيها موعظة لمن يرغبون في العمر الطويل، لأن طول العيش قد يضر قال^(٥):

المرء يرغي في الحياة وطول عيش قد يضره
تفني بشاشته ويبقى بعد حل العيش مرّة

(١) ديوانه: ٢٤٦.

(٢) ديوانه: ٦٩.

(٣) ديوانه: ٣٠.

(٤) المندوحة: السعة.

(٥) ديوانه: ١٩١.

ويبدو أنه قال هذين البيتين في آخرة من حياته، أي بعد أن رأى من الحياة ما يسره وما يسوئه، فتبيّن له في نهاية الأمر أن ما ين ked على الإنسان عيشه يزداد ويتراكم مع مرور الأيام، وخصوصاً إذا كان من الخيارات، باعتبار أن الشّر موجود وفي صراع دائم مع الخير، فكيف يجد السعادة من طال به العمر، ونکاثرت من حوله الشّرور؟!.

يتضح من خلال ما عرضناه، أن للجمعي مدرسته الأخلاقية القائمة على المبادئ الإسلامية الداعية إلى المكارم. ولا ريب في أن الشاعر قد احتفظ بعناصر بذوية كثيرة، فيها يتعلق بأعمال المروءة، ففاخر بها وتغنى، واستمد منها لترفده في مواعظه وتأملاته، ولا يخفى على ذي نظر، ما كان لعمره المديد من أثر في توجيه تلك الخواطر توجيهاً أخلاقياً سديداً مبنياً على نظر ثاقب وخبرة عميقة.

اما من حيث المبنى، فقد جاءت حكمه وتأملاته تعبيراً عفويَاً عما في داخله وما تجتمع لديه من أثر السنين، وهكذا ابتعد عن التكلُّف والتتصُّنُع، فجاءت الأفكار واضحة قريبة المتناول ليس فيها ما يشوهها. والالفاظ تشكل المعنى فيها خفة وسهولة في أكثر الأحيان، ولا يلمع فيها أثر البادية كما في أغراضه الأخرى، وذاك، لا شك بتأثير البيئة الإسلامية.

إسلامياته:

قد علمنا أن النابغة الجعدي قد اعفى جزءاً من حياته في الجاهلية، ثم أكرمه الله بالإسلام، فازداد خوفه من الله مع تعمقه في الدين وتفقّهه فيه، فكثيراً ما يتحدث عن التقوى ويستمد معانبه في

ذلك من القرآن الكريم والستة النبوية الشريفة، فقال^(١) ينفي الغدر عن نفسه ويرد ذلك إلى خوفه من الله تعالى:

منع الغدر فلم أهُمْ بهِ وأخو الغدر إذا هُمْ فَعَلَ
خَشِيَّةُ اللهِ وَأَنِي رَجُلٌ إِنَّمَا ذَكْرِي كَنَارٌ بِقَبْلٍ^(٢)

ولا يكفي في كل مناسبة أن يذكر نعمة الإسلام، ويغترّ عن انشراحه وسروره حيث تحول عن ظلمات الجاهلية إلى الهدى والقرآن. قال^(٣):

وَعُمِّرْتُ حَتَّى جَاءَ أَهْمَدُ بِالْمَهْدِيِّ وَقَوْارِعٌ تُنَلِّ مِنَ الْفَرْقَانِ^(٤)
وَلَبِسْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ نُوبًا وَاسِعًا مِنْ سَبِّ لَا حَرِمٌ وَلَا مُنَابِنِ^(٥)

ويخرج مجاهداً في سبيل الله تعالى، فتحزن زوجته، وت بكى على فراقه، فيواسيها ليقلل من وقع الصدمة عليها، ولا يجد حيلة ينفذ بواسطتها إلى قلبها لتهداها إلا ما جاء في كتاب الله، من أمر بالجهاد، ولا مجال للتخلُّف عنه إلا الذي عنده وهو ليس كذلك، ولا داعي للخوف لأن الحوادث مقدرة ولا يكون إلا ما شاءه الله تعالى قال^(٦):

بِاَبْنَةِ عَمِّيِّ كِتَابَ اللهِ اَخْرَجْنِي
كَرْهًا وَهَلْ اَمْنَعْنَيَ اللَّهُ مَا فَعَلَ

(١) ديوانه: ٩٦.

(٢) القَبْلُ: الشَّرْزَمُ مِنَ الْأَرْضِ.

(٣) الديوان: ٢٠٧.

(٤) القوارع من الآيات: آيات الوعد والوعيد.

(٥) الرجل الحرم: المانع. والسيب: العطاء.

(٦) الديوان: ١٩٤.

فإن رجعت فرب الناس يرجعني
 وإن لحقت برب فابتغى بدلًا
 وهو لا يخرج تنفيذًا للأمر فحسب، لكنه يطعم أيضًا بالشهادة.
 وهو يستوحى بعض معانيه من الكتاب الكريم، ويعبر^(١) عنها بطريقة
 فنية رائعة، فالمسلم لا يلمس إذا أصابه ما يكره، ولا يتذكر إذا أثري:
 إذا منه الشر لم يكتب وإن منه الخير لم يعجب
 وذلك على خلاف الإنسان الضعيف الذي تسيطر عليه شهواته،
 فلا يستطيع صبراً على ما يصبه، فهو شديد الخوف عند المكاره،
 قليل الخبر إذا امتلك الثروة، يقول^(٢) في معنى التصبر والتسليم
 للقضاء:

وإن جاء أمر لا تطبقان دفعه
 فلا تجزعا مما فضي الله واصبرا
 ولا تغيب صورة الجنة عن ذهنه وخبلته فيقول:
 فادخلك الله برذ الجنان جذلان في مدخل طيب
 وإذا تحدث عن الحوادث، نفى علم ما سيأتي منها، فلا يعلم
 الغيب إلا الله تعالى ولكن الإنسان يعلم ما مضى بعد حدوثه،
 قال^(٣):

(١) ديوانه: ٣٣. انظر القرآن الكريم: «خلق الإنسان هلوعا. إذا منه الشر جزوعا. وإذا منه الخير متوعا» سورة العارج: الآيات ١٩، ٢٠، ٢١.

(٢) ديوانه: ٣٥. ويرتبط معنى البيت بالإيمان بالقضاء والقدر خبره وشره.

(٣) ديوانه: ٣٣.

(٤) ديوانه: ٣٥.

لَوْيَ اللَّهُ عِلْمَ الْغَيْبِ عَمَّنْ سَوَاءٌ
وَيَعْلَمُ مِنْهُ مَا مَضِيَ وَتَأْخِرًا

أما الماضي، فتبقى منه صور عالقة في الذهن، لا تغيب عنه. من ذلك تعواشه في البلاد وبحثه عن الحقيقة، قبل أن يفذ عمل النبي ﷺ، فقابل الرهبان والأحبار وأطلع على النصرانية واليهودية، ولكنها لم يقدموا إليه ما كان يبحث عنه من العلم، حتى أنفذ الله أمره، وبعث نبيه محمدًا ﷺ.

وما يُروى^(١) عنه، أنه كان في الجاهلية، يذكر دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام والحبشية، ويصوم ويستغفر، وكان يُعمل عقله ويحسن التفكير، وقال في تلك الفترة^(٢) قصيدة المشهورة التي بيت فيها الكثير مما وعاه واعتقدوه وعرفه عن الله عز وجل، وعن صفاته تعالى، بالإضافة إلى مواعظ كثيرة أخرى. قال فيها:

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمْ يَقُلْهَا فَنَفَّسَهُ ظَلَمًا
الْخَالِقُ الْبَارِيُّ الْمُصْوَرُ فِي الْأَرْحَامِ مَا هُنَّ حَتَّى يَصِيرُ دَمًا
يَفْتَحْ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَالثَّنَاءُ عَلَيْهِ ، وَيَقْرَأُ بِالْوَهْيَتِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ ،
وَيَعْتَبِرُ أَنَّ الَّذِينَ لَمْ يَنْطَقُوا بِكُلِّمَةِ التَّوْحِيدِ قَدْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ، يَتَّقَلِّبُ
إِلَى صَفَاتِهِ تَعَالَى وَهِيَ صَفَةُ الْخَلْقِ ، وَتَصْوِيرُ مَا فِي الْأَرْحَامِ
مِنْ نَطْفَةٍ يَخْلُقُ بَشَرًا سُوِيًّا .

ولا يخفى ما في البيتين من توافق مع ما دعا إليه القرآن الكريم،

(١) الأغاني ٩/٥. القصيدة في الديوان: ١٣٢.

(٢) في الأغاني: ٩/٥: «وقال في الجاهلية كلّمه الله أوطا: الحمد لله لا شريك له... (البيت)». وقد قيل: إن هذا الشعر لأبي لامبة بن أبي الصلت. ولكن أكثر الرواية صحّحوا نسبته إلى الجعدي.

ويبدو ذلك واضحًا في معظم أبيات القصيدة، فها هو يتحدث عن الليل والنهار، ليستدل من خلال تقليلهما على قدرة الخالق سبحانه:
المولج الليل في النهار وفي الليل نهاراً يفرج الظلل^(١)

والله تعالى هو الذي رفع السماء بغير عمد:

الخافض الرافع السماء على الـ أرض ولم بين تحتها ذيما^(٢)
وكذلك اختلاف الأصوات واللغات، والطبائع والالوان
والأزاق، ليس صدقة، إنما قدر الله ذاك.

ويحيث على التقوى، ويدرك الإنسان بصيره المحظوم، فلا عصمة إلا لمن نال رحمة الله، المؤمن يعزه الله تعالى كما يذل الكافر. قال،
بعد أن تحدثهم بأنه لن يتفهم أرض ولا سماء:

في هذه الأرض السماء، ولا عصمة منه إلا لمن رحما^(٣)
ثم يشير إلى الأمم البائدة، والتي شيدت، في حقبة من التاريخ،
الممالك وبلغت من القوة أي مبلغ، فدولة الفرس زالت وكذلك دولة
سبأ، وسادة الأمس صاروا عبداً، وساكنو القصور تحولوا عنها إلى
المخيام، قال:

فُمْرِّقُوا في الـبلاد واعترفوا الـ هُنُونَ وذاقوا الـبَاسَاءَ والمُعْذَمَا

(١) هو من قوله تعالى في سورة الحديد: ٦: «يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل». والمعنى أنه يدخل هذا في ذاك والعكس.

(٢) هو من قوله تعالى في سورة الرعد: ٢: «الله الذي رفع السموات بغير عمدٍ ترونهما».

(٣) هو من قوله تعالى في سورة هود: ٤٣: «لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رجم».

وَيَذْلِلُوا السُّدَرَ وَالْأَرَاكَ بِهِ الـ
خَمْطَ وَأَصْحَى الْبَنِيَّانَ مُنْهَدِمًا^(١)
وَفِي نَهَايَةِ الْقُصْبِيَّةِ يَطْلُبُ الْعَفْوَ مِنْ رَبِّهِ، وَيَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ أَنْ يَبعَدَهُ
عَنِ النَّارِ.

وبعد هذه الأمثلة والشواهد التي سقناها من القصيدة، يبقى
السؤال: هل صحيح أن كل القصيدة نظمت في الجاهلية؟ بحسب
رواية الأغاني فإنها كذلك، ولكن الأمر اللافت هو هذا الحشد المائل
من المعاني الدينية التي تضمنتها القصيدة، ما يرجع عندنا الميل إلى
من يقول بأنها قيلت في الإسلام، إن لم يكن كلها فبعضها، وعلى
الأقل تلك الآيات التي تتضمن المعاني الإسلامية الكبرى كمعنى
الحمد، وظلم النفس والخلق والتوصير في الأرحام.

ومهما كانت الحال، فإن القصيدة تميزت بوضوح انكارها، وسهولة
الفاظها، واعتمد في قسمها الأول أسلوب السرد القصصي ثم
الخطاب المباشر (فاثتمروا الأن...)، (يا أيها الناس...). ويخلص
إلى تقرير ما أراد أن يوصله إلى الناس من وراء مواعظه.

أما أبياته الأخرى، فقد جاءت متباشرة في مناسبات مختلفة وفي
اماكن متفرقة، كلها يتفق في المبدأ والجوهر، وأثر القرآن فيها جلي
 تماماً، والدعوة فيها إلى دين الله هي الأساس:

(١) هو من قوله تعالى في سورة سبا آية: ١٦: «فَاعْرَضُوا فَارْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَبِيلَ
الْعَرَمِ وَيَذْلِلُنَاهُمْ بِجَتِيمِهِمْ جَتِيمٌ أَكْلٌ خَمْطٌ وَأَثْلٌ وَشَيءٌ مِنْ سَدَرٍ قَلِيلٌ
ذَلِكَ جَزِينَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا». السدر والأراك: شجر لا يتفع شمرة. الخمط:
ثمر الأراك.

فَالْحَمْدُ لِلّهِ إِذَا مِنْ يَأْتِي أَجْلِ
حَقٍّ لَبَسْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سَرْبَالاً^(١)

الرثاء:

كان الرثاء في الجاهلية يمثل نشيد الموت والتقطيع، وتميز بالصخب والغوصيل والبكاء على القتل والأموات من الأحبة أو من أفراد العشيرة، وارتبط ازدهار هذا الفن بالعصبية الدموية من جهة، ولأن الجاهليين كانوا لا يعرفون أن حياة أخرى تتطلّبهم بعد الموت، من جهة أخرى.

أما في الإسلام، فقد انخفض صوت الرثاء، وضعف خصوصاً في عهد النبي ﷺ. ومكّذا يسير النابفة في جاهليته على طريقة معاصريه، فيفخر ببطولات قومه كما بيتاً ويرثي من يسقط منهم قتيلاً، وأكثر ما تجلّ عواطفه المتفجّرة في رثائه لأنبياء وحروح الذي قتله بنو أسد فقال^(٢):

وَمَنْ قَبْلَهُ مَا قَدْ رُزِّئْتُ بِوَحْشَ
وَكَانَ أَبْنَى أَمْيَ وَالْخَلِيلَ الْمَصَافِبَا^(٣)
فَقَ كُمْلَتْ أَخْلَافُهُ غَيْرَ أَنَّ
جَوَادُ فَمَا يُبَقِّي مِنَ الْمَالِ بِاقِبَا
فَتَ تَمَّ فِيهِ مَا يَرُّ صَدِيقَهُ
عَلَى أَنَّ فِيهِ مَا يَسُوءُ الْأَعْدَابَا

(١) الديوان: ١٠١.

(٢) الديوان: ١٧٣.

(٣) الرزء: المصيبة. رُزْتُ: أصبت. والضمير في «قبله» يعود إلى ابنه محارب الذي ذكره في بيت سابق وكان أصبه به هو أيضاً.

إلا أن هذا الرثاء، لم يصل في ضجيجه، إلى ما وصل إليه رثاء النساء^(١) في أخويها. ولكن العاطفة تتأجّج فيها، والصدق ينحي على كل بيت، لذلك جاءت الأبيات بعيدة عن التكلف، وقد وفق الشاعر أيما توفيق في حسن المقابلة في البيت الثالث، إذ جمع في أخيه كل صفات الكمال البشرية من الكرم والشجاعة والأنفة مما يسرّ به الصديق، ويستاء به العدو.

الفزل

عرف الجاهليون الغزل لارتباطه بالمرأة وما نثله، فهي كانت، عندهم، رمزاً للفرح، وهي الصديقة والحبّية، فضلاً عن كونها أمّا أو اختاً. فتغزلوا بها، ووصفوها جالها، وتغنوا بمحفاتها الجسدية، ويكوا على فراقتها ووقفوا على أطلالها، وخطابوها لأنها تذكرهم بالحبّية. وللدلالة على أهميّة المرأة، جعلوا الغزل في افتتاحيات الفصائد، ليتقلّوا بعدها إلى أغراض أخرى.

وفي صدر الإسلام، لم يتغيّر الأمر كثيراً، إلا من حيث المعانى، فقد تغزل الشعراء ولكنهم لم يفحشو القول ولم يذكروا المفاتن الأنوثية الجسدية، بل اكتفى أكثرهم بالتعبير الوجданى عما فعلته الحبّية بفارقها ورحيلها، وشوق الشاعر إليها. والنابعة الجعدي لم يخرج عن هذا المنبع بل التزم في أكثر قصائده. من ذلك قوله^(٢):

هل بالديبار الغداة من حَمَّ
أم هل بربع الأنيس من قَدَمِ

(١) هي ثناصر بنت الشريد، شاعرة جاهلية، أدركت الإسلام وأسلمت.

(٢) ديوانه: ١٤٨.

ألم ما تنادي من مائل
 فرج السبل عليه كالخوض مُنهَمٌ^(١)
 كان بها بعض من هويت ومن
 يلق سروراً في العيش لم يُدْمِ
 بساليٍ صاحبي بدائي وقد
 نام عشاء وبيت لم أنم
 وهكذا يقف كما وقف امرؤ القيس وزهير بن أبي سلمي وعنترة
 يخاطب الدبار، ديار الحبيبة التي غادرت، وما تركت له إلا الألم
 والشهر، وهو، كان يكتن حبه في صدره، وما كان ليجوح باسم الحبيبة
 إلا كنابة خوفاً من الحاسدين والبغضين:

أكني بغیر اسمها وقد علم اللہ خفیات کل مکتشم
 خفافۃ الكاشع المکثر ان بطرخ فيها عوائر الکلم

وبعد ذلك الكلام الخارج من القلب، الذي عبر فيه عن خفايا
 نفسه المنتحقة بسبب شوقه للحبيبة يتقل إلى ذكر صفاتها الحسنة
 والمميزة: فهي طيبة الرائحة رائحة الفم والأنف في كل حال، ولما
 يزيد من حسن ثغرها وطيب رائحته أنها تستعمل سواها من شجر
 الضرو اليمني وهو من أجود الأشجار التي يستخدم خشبها لهذا
 الأمر، أما وجه الحبيبة فهو شديد البياض كليلة مقمرة، وكالزهرة
 الغراء، قال:

طيبة النثر والبداهة والملأ عند الرقاد والتسم

(١) مائل: دارس. الخوض: مجتمع الماء.

كأنَّ فاما إذا تبسم من طيب مثمن وحسن مُبْتَسِمٍ
 غرءاء كالليلة المباركة القمراء تهدى أوائل الظلم.
 ونثرها كالأقحوانة، أما الرُّضاب، فهو كالخمرة، أو كماء المزن من
 ماء دومة في لذته وبرودته.

والملاحظ هنا، أنَّ الصُّور والمعاني المستخدمة ليست بعيدة عن طرائق معاصريه، فاللتغنى بطيب النفس وتشبيه الثغر بالأقحوانة، وغير ذلك مما ورد من صور وتشبيهات، يمثل مرتكزات وأساساً قام عليها الغزل في عصري الجاهلية وصدر الإسلام. فإذا ما أجرينا مقارنة سريعة بين مقطوعتين غزليتين لشاعرين من الفترة ذاتها، نجد أنَّ حبيبة كلِّ منها تحملُ الصفات ذاتها، وترجع ذلك، وبساطة، إلى اتفاق شعراء ذلك العصر على معايير موحدة ومعروفة لجمال المرأة انطلاقاً من المعطيات الثقافية والبيئية لذلك العصر.

وقال^(١) يتذكر أميمة التي أحبها حتى استولت على قلبه وسرعان ما بعدت:

تذكَرْتُ ذكرى منْ أَمِيمَةَ بِعِدْمَا
 لفَيْتُ عَنَاءَ مِنْ أَمِيمَةَ عَانِيَا
 بَذْتُ فِعْلَ ذِي وَدٍ فَلِمَا تَبَعَنَهَا
 تَوَلَّتْ وَأَبْقَتْ حاجِتِي فِي فَؤَادِيَا
 وَحَلَّتْ سَوَادُ الْقَلْبِ لَا أَنَا بَاغِيَا
 سَوَاهَا وَلَا عَنْ حِبَّهَا مُتَرَاخِيَا
 وَيَتَنَفَّ وَصَالِهَا، وَلَوْلَمْ تَفَارَقْهَ لَمْ أَبْغِضَهَا:

(١) ديوانه: ١٧٠.

ولو دام منها وصلُّها ما قلبتُها
ولكنْ كفى بال مجر للحب شافيا
وما رأيَها من ريبةٍ غيرَ أنها
راتْ لقي شابتْ وشابَ بـداتيا
ولو بحثنا مع الشاعر عن سبب المجر، لوجدنا أنها ارتبطت
وابتعدت عنه عندما رأت شيء ظاهراً على ملتبه فلم يعد يرضي
تلعلعاتها.

ومن عجائب اللوالي ذكرهن في شعره غير أميمة، سليمي:

وقالت سليمي أرى رأسه كناصية الفرس الاشهب^(١)
كما ذكر سلمي :

أيا دار سلمي بالحرورية اسلامي
إلى جانب الصّيّان فالمللُم^(٢)
وليل ذكرها بقوله:

**تأبَدْ مِنْ لَبِلْ رُمَاحُ فَعَذَابُ
وَاقْفَرَ مِنْ حَلْهَنَ التَّاضِبُ^(٣)**
وَأَمَامَةً :

قالت أمامة كم عمرت زمانة
وذهب من عتر على الأولياء^(٤)
كما ذكر امرأة باسم «ابنة الجنون» ولكنها لم يتغزل بها بل
هجاها^(٥)

(١) ديوانه: ١٣ . وتبه الرأس بناصبة الفرس الأشهب كنابة عن الشيب.

(٢) الحرورةة: موضع . وكذلك الصيآن والمتألم .

(٣) ديوانه: ١٨١، ورماح: موضع بارض بني ربيعة. وكذلك عاذب والتناصب.

(٤) ديوانه: ٢٠٦ . العنوان: شاة كانت تذيع للأوثان في المخالفة.

(۵) دیوانه: ۲۰۶ قال:

مالي وما لابنة المجنون تطرقني بالليل إن نهاري منك يكفي

وَمَا قَالَهُ^(١) فِي وَصْفِ مَغْنِيَةِ :
 وَلَدِينَا قِبَنَةً مُسْمِعَةً ضَخْمَةُ الْأَرْدَافِ مِنْ غَيْرِ نَفْشٍ
 يَعْجِبُهُ فِيهَا صَوْتُهَا وَمَنْظَرُهَا، وَخَصْوَصًا أَرْدَافُهَا الْمُمْتَلَّةُ وَهَذَا عَلَى
 طَرِيقَةِ مُعَاصِرِيهِ .

وَخَلَاصَةُ الْقَوْلِ فِي غَزْلِيَّاتِهِ أَنَّهُ تَغْزِلُ بَنَاءَ كَثِيرَاتٍ، وَلَمْ يَكْتُفِ
 بِذِكْرِ حَبِيبَةٍ وَاحِدَةٍ، وَأَمَّا عِنْ ذِكْرِ الْمَحَاسِنِ الْجَسَدِيَّةِ لِلنِّسَاءِ، لَوْنَهَا
 وَبِيَاضَهَا، أَسنانَهَا، فِيمَا، رَائِحَتَهَا، أَرْدَافُهَا. كَمَا كَشَفَ عَنْ بَعْضِ
 مَيْوَلِ الْمَرْأَةِ التَّفْسِيَّةِ، فَهُنَّ تَفْضُلُ الشَّابَ عَلَى الشَّيْوخِ، وَفِي الْوَقْتِ
 ذَاهِنٍ، هُوَ يَعْبُرُ عَنْ إِدْرَاكِ الرِّجَالِ بِأَنَّ التَّقْدُمَ فِي السِّنِّ قَدْ يَكُونُ مَانِعًا
 مِنْ إِقَامَةِ عَلَاقَاتٍ غَرَاميَّةٍ مَعَ النِّسَاءِ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَخْفِ مِيلَهُ إِلَيْهِنَّ فِي
 أَكْثَرِ مَوْضِعٍ خَصْوَصِيًّا فِي خَاطِبَتِهِ لِأَمِيمَةٍ^(٢) .

أَمَّا اسْلُوبُهُ وَصُورُهُ، فَاستَمْدَهَا مِنْ بَيْتِهِ، وَلَمْ يَأْتِ بِمَا هُوَ جَدِيدٌ
 إِلَّا فِي اسْلُوبِ الْكَتَابِيَّةِ. وَلَكِنْ ثَمَّةَ صُورَةٌ تَسْتَوْقِنَّا، إِذَا هُنْ يَذْكُرُونَ
 ابْتِسَامَةَ الْحَبِيبَةِ فَيُشَبِّهُهَا بِالنُّورِ، وَالْمَعْرُوفُ أَنَّهُمْ يُشَبِّهُونَ الْوَجْهَ وَبَهَاءَهُ
 بِالنُّورِ، أَمَّا أَنْ تُشَبِّهُ الْابْتِسَامَةَ بِالضَّوءِ، بَلْ هِيَ تَفْضِيُّهُ اللَّيلَ وَتَكْشِفُ
 الظَّلَامَ، فَهَذَا لَيْسَ مَأْلُوفًا، قَالَ^(٣) :

إِذَا ابْتَسَمْتُ فِي الْلَّيلِ وَالْلَّيلُ دُونَهَا
 أَضَاءَ دُجَى الْلَّيلِ الْبَهِيمِ ابْتِسَامُهَا

(١) دِيْوَانُهُ: ٢٤٥.

(٢) راجع مِنْ ٧٠ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

(٣) الْدِيْوَانُ: ٢٣٨.

اللهو والخمرات:

التغُرُّ بالخمرة ووصفها كثیر في شعر الجاهلين، والخمرة عندهم كالغزل، هي رفيقة الشاعر أینا حلّ، فهي تواسيه، على زعمه، وتنسیه المهموم والأحزان، وتنقله إلى عالم آخر غير عالم الواقع، حيث يشعر بلذة لا تعدلها لللة^(١)! لذلك كثیر منهم كانوا إذا ذكروا المرأة، ذكروا الخمرة وفعلها في نقوشهم. والنابغة الجمدي له في هذا المجال، أی في مجال اللهو، ووصف الخمرة، ولو أن ما بين أيدينا من خرياتيه قليل، ولكن على قلته يعطينا صورة واضحة عن منهجه وصورة، وما يقوله^(٢):

ولقد أغو بشرب أنف
قبل أن يظهر في الأرض ريش^(٣)
معنا زق إلى سمة
تسيق الأكال من رطب وهش^(٤)
فنزلنا مليح مفتر
 منه طل من الدجن ورش^(٥)
 ولدينا قينة مسمعة
 ضخمة الأرداف من غير نفش^(٦)

(١) إن الخمرة لا تنقل الإنسان إلا من الوعي إلى اللاوعي أي تجعله كالمحظون!

(٢) ديوانه: ٢٤٤.

(٣) الشرب: اسم جمع لشارب. الريش: العشب والنبات.

(٤) سمة: خوص يجعل شيئاً بسفرة. الأكال: ما يؤكل. الهش: اليابس.

(٥) مليح: مقاذه. الطل: الندى. الدجن: المطر الكبير والنجم المظلم. الرش: المطر الخفيف.

(٦) قينة: مغنية.

إذا توجه الشاعر مع جماعة الشاربين والقاصفين، إلى المفازة حيث المكان خلو إلا من آثار الماء، وفيه بعض الأعشاب، وبصحبتهم وعاء الخمرة وما يلزمهم من مأكل ومشرب، فضلاً عن مغنية حسانه نظرتهم، ونخادم يقوم على خدمتهم، فامضوا يومهم يتمتعون وأكلوا شوأة من اللحم الغريض:

فاشتوبنا من غريب طيب غير منون وأبا بغش^(١)
ومن خرباته، التي أجاد في نسجها الفن، أبيات من ميمنته جمع فيها من صفات الخمرة ما تيسر له، فساوى بين الخمرة وبين ريق المحبوبة ثم ذكر أسماء الخمرة التي تميّز عن غيرها من حيث قوّة تأثيرها وخلاصتها وأوليتها وملازمتها للعقل وذهاّبها به فقال^(٢):
علّت به قرف سلافة إسفنج عقار قليلة الندم^(٣)
ويذهب ليتغيّر بما فيها من مسك وفلفل، تشتهر به دارين في البحرين.

التي فيها فلجان من مسك دارين وفلج من فلفل ضرم^(٤)
ونطرق إلى تخزينها وحفظها في التراب بعد وضعها في الدن
وختمه:

رُدت إلى أكلف المناكب مرسم مقيم في الطين محظىم^(٥)

(١) معنون: مقطوع. أبا: رجعنا. الغيش: بقة الليل.

(٢) الديوان: ١٥٢.

(٣) قرف: خرة تذهب بالعقل. سلافة: أول الخمرة. إسفنج عقار: خرة تلازم العقل.

(٤) الفلج: مكبال.

(٥) أكلف المناكب: كتابة عن الدن. مرسم: غثوم بالرسوم.

وهو، أي الوعاء، يشبه جون الحمار، فلا تجد فيه حامضا ولا هو منكسر.

جُونِ كجُونِ الحمَارِ جَرَدَهُ الْخَرَاسُ لَا نَاقِسٌ وَلَا هَزِيمٌ^(١)
وَلَمْ يَفْتَهُ أَنْ يَتَغَفَّنُ بِلُونِهَا الْأَحْرِيِّ وَصَفَائِهَا:

وَصَهْبَاهُ لَا تَخْفِي الْقَذِيْ وَهِيَ دُونَهُ
تُصْفَقُ فِي رَاوِقَهَا ثُمَّ تُقْطَبُ^(٢)

شَرِبَتْ بِهَا وَالْذِيْكُ يَدْعُو صَبَاحَهُ
إِذَا مَا بَنُوا نَعْشَنِيْ دَنَوا فَتَصْوِبُوا^(٣)
فَبَدُوا مِنْ خَلَالِ الزَّجَاجِ صَافِيَّةً نَفِيَّةً، كَمَا يُرَى الْقَذِيْ فِي أَسْفَلِ
الزَّجَاجَةِ لَشَدَّةِ صَفَائِهَا.

وَهُوَ لَا يَعْلَمُهَا فِيلَذُ لَهُ شَرِبَاهَا حَقَ الصَّبَاحِ، حِيثُ تَدْعُوهُ فَتَاهَ بِيَضَاءِ
حَسَنَاءِ إِلَى الْبَقَاءِ مَعَهَا، لَكَنَّهُ يَتَرَفَّعُ عَنِ ذَلِكَ! وَمِنَ الْجَدِيرِ بِالذِّكْرِ أَنَّ
الْأَعْشَى^(٤) كَانَ مِنْ سَبِقَوْا إِلَى هَذَا الْمَعْنَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ حِيثُ قَالَ^(٥):

صَهْبَاهُ صَافِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتُوِدَفْتُ
شَجَّعْتُ غَوَارِبُهَا بِمَاءِ غَوَادِي

(١) الجون: وسط الشيء. الخراس: صانع الدنان. هزيم: منكسر.

(٢) ديوانه: ٤. صهباء: حرة معتفة. القذى: ما سقط فيها. الراؤوق: ما يرافق
الخمرة.

(٣) بنونعش: الأصل بنات نعش: سبعة كواكب. تصويبوا: دنوا من الأفق
للغرروب.

(٤) هو ميمون بن قيس الأعشى الأكبر، شاعر الخمرة الأول في الجاهلية.

(٥) ديوانه: ١٢٩.

وقال^(١) أيضاً:

كُمْبَتَا تَكْشِفُ عَنْ حُمْرَةٍ إِذَا صَرَحْتَ بَعْدَ إِزْبَادِهَا
وَقَالَ^(٢) الْأَعْشَى مَا يَشْبَهُ قَوْلَ النَّابِغَةِ:

وَصَهَبَاهُ جَرْفٌ كَلْوَنُ الْفَصُوصُ سَرِيعٌ إِلَى الشُّرْبِ إِنْسَاهُا^(٣)
تُرِيكَ الْقَذِيْ وَهِيْ مِنْ دُونِهِ إِذَا مَا تُصْفَقُ جَرِيَاهُا^(٤)

كَمَا وَاقَ^(٥) الْجَمْدُ الْأَعْشَى مَرَّةً أُخْرَى حِيثُ قَالَ:
وَشَمُولٌ قَهْوَةُ بَاكِرَتِهَا فِي التَّبَائِيرِ مِنَ الصَّبَعِ الْأَوَّلِ
بَاشَرَتِهِ جَوْنَةُ مَرْسُومَةٍ أَوْ جَدِيدُ حَدَثُ الْقَارِ جَحَلَ
قال^(٦) الْأَعْشَى:

وَشَمُولٌ تَحِبُّ الْعَيْنَ إِذَا صَنْقَتْ وَرَدَتِهَا نَوْزُ الدَّبْنِ
بِشْلُ ذَكِيِّ الْمِلْكِ ذَالِكِ رِيمُهَا صَبَهَا السَّاقِ إِذَا قَبِيلَ نَفْرَخٍ
بِنْ زِقَاقِ التَّجَرِ فِي بَاطِنِهِ جَوْنَةُ حَارِبَةٍ ذَاتِ رَوْحٍ

وَمَا قَالَهُ^(٧) الْأَعْشَى فِي صَفَةِ الْخَمْرِ وَمَعْلُوسِهَا وَشَرِبِهَا:
وَكَاسٌ كَعِينِ الدِّيكِ بَاكِرَتْ حَدَثَهَا
بِفَتِيَانٍ صَدِيقٍ وَالثَّوَاقِبِصِصٍ تُضَرِّبُ

(١) ديوانه: ٧١.

(٢) ديوانه: ١٦٣.

(٣) الفصوص: جمع الفص وهو حدقة العين. صهباء: خرة معتفة.

(٤) القذى: ما يسقط في الشراب أو العين من غباره وغبره. الجريمال: صبغ أحمر.

(٥) ديوان النابغة: ٨٦.

(٦) ديوانه: ٢٤١.

(٧) ديوانه: ٢٠٣.

سُلَّابٌ كَانَ الرَّزْعُفَرَانَ وَعَنِّدَمَا^(١) يُصْفَّقُ فِي نَاجِوِدَهَا ثُمَّ تُقطَبُ

وهكذا، سار الشعراء، فيما بعد، على طريق الجعدي والأعشى، فتناولوا الخمرة ووصفوها وصفاً حسياً، كما تناولوها من حيث أثرها في النفس وفي الأعضاء. ولينظر في ذلك الأختلل من شعراء العصر الاموي، وأبو نواس من بعده، الذي طور القصيدة الخمرية وجعلها فتاً مستقلًّا، وجعلها إطاراً لبث مذهب فكري وأدبي وفلسفـي، وشـتـان بين هذا الأخير وبين الجعدي، الذي عبر عن سروره ولهو بالبساطة الممكـنة دون اللجوء إلى تحـمـيل الألفاظ أكثر ما تـحـتمـلـ، كما أنه لم يلـجـأـ إلى التعـقـيدـ، بل حـافـظـ عـلـىـ العـفـورـيـةـ فـيـ التـعبـيرـ.

الزهد:

لم يُعرف هذا الفن في نطاقه الواسع، إلا في العصر العباسي حيث الحياة المقدمة، وطغيان الدنيا على النفوس الضعيفة. ولكننا نلحظ، ومنذ الجاهلية أن كثيراً من الشعراء قد نبذوا حياة العبث واللهو في صغرهم، ومنهم من فعل ذلك في سنٍ متأخرة، أما النابغة فإنه يختلف قليلاً عمن ذكرنا، لأنه عاش في الجاهلية رداً طويلاً من الزمن، ولم ينغمـسـ أصلـاـ في مـتـاهـاتـ الجـهـلـ وـالـفـسـادـ، وـرـفـضـ الأوـثـانـ، وـلـمـ يـعـدـهاـ، حتىـ أـكـرـمـ اللهـ بـالـإـسـلامـ، فـازـدادـتـ فـضـائلـهـ، وـتـأـصـلتـ نـزـعةـ الـخـيـرـ الـقـيـمـةـ الـمـعـدـلـةـ، ولـذـلـكـ كانـ زـهـدـهـ أـقـرـبـ إـلـىـ الـخـواـطـرـ، وـتـقـرـيرـ الـحـقـائقـ الـإـسـانـيـةـ، مـنـ خـلـالـ تـجـربـتـهـ الطـوـيـلـةـ مـعـ

(١) السلاف: خلاصة الخمرة. العندم: شجر له عروق حمر يُصين به. الناجود: وعاء الخمرة. تصفيق الخمرة: ترويقها وتصفيتها. قطب الخمرة: مزجها.

الحياة، وكأنه وصل إلى حدٍ وجد نفسه وقد صارت الحياة تزعجه
قال^(١):

وتسوءه الأيام حتى ما يرى شيئاً يسره
كم شامت بي إن ملكت وقائل الله ذره
تحمل الأبيات نظرة سوداء إلى الحياة، ولكن الشاعر لم يكن
متشائماً أو رافضاً للحياة، فهو رضي العيش، وناضل وجاهد طيلة
حياته ليعيش حياة كريمة، كما جاحد في سبيل الله، ولا يفسر ما ورد
في الأبيات إلا من باب تقرير واقع النفس الإنسانية وما يطرأ على
الإنسان من تحولٍ في ميلوه وأهواه بحسب تغير قواه الجسدية، فإذا
اضمحلت القوى الجسدية وانهارت، يرغب عند ذلك، كثير من
الناس بالموت. أما الحقيقة الأخرى، فتجلى في أن النفس أمارة
بالسوء، وكل يوم يمر على الإنسان قد يأتي عليه بما يضره ويسوءه، مما
يجعل الناظرين إليه في نهايته فريقين: فريق شامت بما حل به
ووصلت إليه حاله، والفريق الثاني يدعوه ويشكر فعله وهذه هي
الحقيقة الثالثة التي أراد أن يقررها الشاعر.

وها هو يحذر، في مكان آخر من الدهر، وبتهمه بالخيانة، على
عادة شعراء الجاهلية، فكتيراً ما كانوا يلقون بتبعه ما يصيبهم من
النواب على الدهر، ولو أنني أميل إلى أن رأيه هذا بالدهر يحمل على
معنى آخر، وهو عدم استقرار الأحوال، فمع مرور الأيام، الناس
يتغيرون، والأصدقاء قد يصيرون أعداء والعكس صحيح يقول^(٢):

(١) ديوانه: ١٩١. وراجع ص ٦٠ من هذا الكتاب.

(٢) ديوانه: ١٠.

وَلَا تَامِنُوا الدَّهْرَ الْخَوْنَ فَإِنَّ
 عَلَى كُلِّ حَالٍ بِالْوَرِي يَسْتَفْلِبُ
 وَانطِلَاقًا مِّنْ قَوْلِهِ هَذَا يَعْصِلُ إِلَى الْحَقِيقَةِ الْأُخْرَى التَّالِيَةِ:
 وَاعْلَمُ أَنَّ الْخَيْرَ لَيْسَ بِدَائِمٍ عَلَيْنَا وَأَنَّ الشَّرَّ لَا هُوَ يَرْتَبُ
 إِذَا، مَا أَرَادَهُ الشَّاعِرُ، لَيْسَ الْحُكْمُ مِنْ خَلَالِ نَظَرَةِ سُودَاوِيَّةٍ، إِنَّمَا
 التَّحْذِيرُ مَا هُوَ آتٍ لِيَكُونَ إِلَيْنَا عَلَى يُبُّنَّةِ مِنْ أَمْرِهِ وَلَا يَقْعُدُ فِي مَا لَا
 يَرْغُبُ، أَوْ يَنْخُدُ بِالْدُّنْيَا وَزِيَّتِهِ.

خصائصه العامة:

بما أن النابغة الجعدي قد عاش بين عصرين، فإنه جمع في شعره خصائص يحيط بها مختلفتين، ولكن انعكاس الفروقات البيئية وأثره في شعره لم يكن كبيراً، ومهمها كانت الحال تستطيع أن تسجل الخصائص التالية:

- التزعة الإسلامية، ويقودنا ذلك إلى الكلام على مذهبه الأخلاقي الداعي إلى المكارم، والتترفع عن الدنيا، والبحث على اكتساب الرزق، كي لا يقع المرء فريسة لل الفقر، الذي يؤدي بدوره إلى الذلة، وغير ذلك كثير، مما يبدو عليه أثر القرآن الكريم والدين الحنيف.

- الحكمة، وترتبط بتنميته وأخلاقه وتجربته الطويلة التي اكتسبها من خلال عمره الطويل. وتدور حكمه، أيضاً، حول العيش والحياة، والخير والشر، والطبائع البشرية، واختلافها وسلوك الإنسان وغير ذلك من شؤون عايشهما وخبرها.

- الواقعية، إذا قيل إن الشعر الجاهلي ابن بيته، فإن مصداق ذلك في شعر الجعدي، ولا يغير كونه عاش أيضاً في صدر الإسلام شيئاً

من هذه المقوله الحقيقية، فهو قريب من بيته الطبيعية إلى درجة أن قصائده غنية جداً بالصور والمعانٍ المستمدّة من البداية وما فيها من حيوانات كالبقرة الوحشي، الجوزر، الخيل، الظباء والإبل وما سوي ذلك، فوصفها وصفاً دقيقاً، كما نكلم على البيئة الثقافية فنعبر عن الإسلام وفضائله، كما تحدث عن مجالس اللهو والخمرة والناء وغير ذلك مما يدلّ على أنّ في شعره صورة وافية للعصر، وأكثر ما يلفت الانتباه، مهاجاته مع بعض الشعراء مثل: ليل الأخيلية وكعب بن جعيل والأخطل وغيرهم، ما يدلّ على أنه التزم الإسلام وامتنع عن قول ما ينافق إسلامه، مما أفسح لهم المجال ليتغلّبوا عليه.

- أسلوبه، تختلف الآراء في الحكم على شعره، فمن رأى قاتل بأنه شاعر مفلت إطلاقاً، ومن رأى آخر يقول بأنّ في شعره الجيد والرديء، وهذا هو الأرجح، ولا أرى فيه عيباً يغضّ من قيمة الشاعر، خصوصاً إذا تذكّرنا أنه لم يكن يحبّ التصنّع والتتكلف، بل ترك لسجيته أن تتحرّك كيما شاءت وعبر عن أحاسيسه بوضوح وبسهولة جعلت من شعره دون المستوى المطلوب، في بعض الأحيان. وإذا مررنا على بعض الصور البلاغية، كالمقابلات، فإنّها حقاً كانت عفوية وموقفة من حيث التوقيع والأثر الفني في القصيدة، فانظر إلى هذه المقابلات لترى ما فيها من روعة وحسن:

إذا مسَّه الشر لم يكتب وإن مسَّه الخير لم يعجب^(١)
وكذلك قوله^(٢):

(١) ديوانه: ٣٣.

(٢) ديوانه: ٧٢.

ولسنا نرُّدُ الروحَ فِي جَسْمٍ مَيِّتٍ
 وَكَنَا نُشَلُّ الرُّوْحَ مِنْ تَبْشِيرٍ
 غَيْبٌ لَا نَحْبِي كَذَاكَ صَنَعْنَا
 إِذَا الْبَطْلُ الْحَامِي إِلَى الْمَوْتِ أَهْجَرَا
 وَقُولَهُ^(١)، وَلَكِنَّ فِي مَجَالٍ آخَرَ غَيْرَ الْمُقَابَلَةِ، وَهُوَ مِنْ أَحَسَنِ شِعْرِهِ:
 تَبَدُّلُ كَوَاكِبِهِ وَالشَّمْسُ طَالِعَةُ
 لَا النُّورُ نُورٌ وَلَا الْإِظْلَامُ إِظْلَامٌ
 وَفِي التَّشْبِيهَاتِ لِهِ الْكَثِيرُ، مَا جَاءَ عَفْوَ الْمُخَاطِرِ، وَبِغَيْرِ الْإِيْضَاحِ
 فَحَسْبُ^(٢):

كَانَ تَبَسِّمَهَا مَؤْهَنًا سَنَا الْمَسِكِ حِينَ تَحْسُنُ الْتَّعَامِي
 أَمَّا الْكَنَابِيَّةُ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ طَرَقَ بِأَبْهَا، وَسَارَ الشَّعْرَاءَ عَلَى طَرِيقِهِ
 مِنْ بَعْدِهِ:
 أَنْتِي بِغَيْرِ إِسْمِهَا وَقَدْ عَلِمْتُ اللَّهُ خَفِيَّاتِ كُلِّ مَكْتَسِمٍ^(٣)
 وَاللُّغَةُ، تَبَعًا لِمَا ذَكَرْنَا آنَفًا، هِيَ لُغَةُ الْعَصْرِ، وَتَنَافَوتُ مِنْ قَصِيدَةِ
 إِلَى أُخْرَى، وَمِنْ بَيْتٍ إِلَى آخَرَ، وَيَحْسَبُ الْمَوْضِعَ وَالْفَكْرَةَ، وَيَمْكُنُ
 القُولُ إِنَّ الْفَاظَةَ اسْتَمدَتْ مِنَ الْبَيْتَةِ الْجَاهِلِيَّةِ وَكَذَلِكَ مِنَ الْإِسْلَامِ،
 فَمِنَ الْأَوَّلِيَّاتِ كَانَ الغَرِيبُ وَالْعَوْيِصُ مِنَ الْكَلِمَاتِ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ أَخْذَ
 الْكَلِمَاتِ السَّهْلَةَ، الَّتِي لَمْ دَلَّةَ أَخْلَاقِيَّةَ.
 وَمَا أَخْذَهُ عَنِ الْأَوَّلِيَّاتِ مِنَ الْمَعْانِيِّ، مَوْقِفُهُمْ مِنَ الدَّهْرِ وَكَذَلِكَ

(١) دِيْوَانُهُ: ٢٣٩.

(٢) دِيْوَانُهُ: ٢٣٨.

(٣) دِيْوَانُهُ: ١٥٠. الْأَغَانِيُّ: ٤٧/٥.

الكثير من صفات الحمرة وطرائق الغزل وأساليبه، كما استمد بعض
الأمثال وصاغها شعراً ك قوله^(١):

وَإِنْ امْرَأً أَهْدَى إِلَيْكَ قُصْبَةً
كَمْسَتْبَضَعْ تَمَرًا إِلَى أَرْضِ خَبِيرَا

أخيراً، لما كان الشاعر عاش بين عصرين مختلفان في كل شيء
تقريباً، فلم يكن من السهل التحول بسرعة، فمثل هذا التحول
يقتضي زمناً طويلاً، ولا تظهر نتائج الانقلابات الثقافية والفكرية
والدينية إلا بعد جيل أو جيلين، ولم يظهر ذلك عندنا إلا في أواخر
العصر الأموي.

(١) ديوانه: ٧٥. ويقال أيضاً: لستبضع التمر إلى خمير. راجع مجمع الأمثال
للعميداني: ١٥٢/٢.

الخاتمة

بحث، في هذا الكتاب، في حياة النابغة الجعدي وعصره، وتناولته كشاعر صحابي خضرم عاش بين عصرين، وأعطي من الشعر الكثير، ولكن للاسف لم يصل إلينا كل ديوانه، فبنيت ما توصلت إليه من الأحكام المتواضعة على أقوال الرواة والفتاوى من جهة، وعلى ما بين أيدينا من شعر النابغة من جهة أخرى. وإن المجال يبقى مفتوحاً، لجهة البحث عن المفقود أو المبعثر من شعره مما يتبع الفرصة بمجدداً نحو مزيد من الدرس والتحليل للتعرف على سيرة وشخصية النابغة الجعدي، وإنني لأرجو أن يلقى هذا الأمر العناية التي يستحقها.

والحمد لله رب العالمين

نخارات

المقارب

وبيت بيت ولم تنصب^(١)
كناصية الفرس الأشيب^(٢)
فغيني إليك ولا تعجبني
وعذن على زبئي الأقرب
ت فرداً كصيصة الأغضب^(٣)
إلى الفلج الغرود فالأشعب^(٤)
كصوت المواتع بالحواب^(٥)
وصوت نواقيس لم تضر^(٦)
وصهباء كالمسك لم تقطب^(٧)
بجهمة والديك لم ينبع^(٨)
بسوائلن من غبقة مُطبي^(٩)

سالك هم ولم تطرب
وقالت مليمي أرى رأسه
وذلك من وقفات المنون
أتين على إخوتي سبعة
وسادة رهطي حق يقين
فليت رسوله حاجة
وذهكرة صوت أبوابها
سبقت صياح فراريمها
برئنة ذي غريب شارف
وشهوة صهباء باكرزتها
وجزء جوانح ورذ القطا

(١) تنصب: تتعجب.

(٢) الناصية: مثبت الشعر في مقدم الرأس. الأشيب: اللون الأبيض فيه سواد.

(٣) الصيصة: القرن. أغضب: مكسور القرن.

(٤) الفلج والأشعب: قريتان بالبلدة.

(٥) الدسكرة: عند الأعاجم أماكن اللهو. المواتع: جمع الماتع: المتنفس.
الحواب: الواسع من الدلاء.

(٦) النواقيس: الأجراس.

(٧) الجرد: جمع الأجرد وهو من الخيل قصير الشعر دليل كرمه. جوانح: من
جنح يمضي أسرع.

بِالْفَتْكِتُبُ أَوْ مِقْنَبٍ^(١)
ضَحِيَّاً دَاخِنًا مِنْ تَنْضَبٍ^(٢)
بِطْرِيْ؛ وَلَا جَذْعَ جَائِبٍ^(٣)
مِنْ أَجْرَدَ كَالْصُدَعِ الْأَشْعَبِ
وَيَأْوِي إِلَى حُضْرِ مُلْهِبٍ^(٤)
يُوَانِيلُ مِنْ بَرَدَ مُهَذِّبٍ^(٥)
سَارِيْضَرِبَنَ ضَرِبَاً لَمْ يَضْرَبَ
لَغْبَنَ وَاصْبَحَ لَمْ يَلْغِبَ^(٦)
يَسْتَنِنَ كَالثَّئِينَ فِي الْحُلْبَ
رَشَمَ السَّنَابِكَ لَمْ تَقْلَبَ
نِيَامَ الْأَبَاجِلَ لَمْ يَضْرَبَ^(٧)
رِقَابَ وَعُولَ لَدِيْ مَشْرَبَ
خَفْسَنَ وَانَّ كَانَ لَمْ يَخْضُبَ

خرجن شهاطيظ من غارة
كأن الغبار الذي فوقيهم
تلافيتهم بلا مُقرِفٍ
بعارِي النواهن صلت الجبي
يقطعن بتقربيه
دارخاء بيد إلى هضبة
إذا سبقت الخيل ونط
غداً مرحأ طرباً قلبه
فلبِقَ النسا حِيطُ الموقفين
مُدلٌ على سلطات النسو
صحيح الفصوص أمن الشطا
كأن نماشيل ارساغه
كأن حوايرة مذيراً

(١) شهاب الدين الحبشي: الحبشي المفرقة. المثلث من الحبشي: ما بين الثلاثين والأربعين.

(٢) التنفس: شجر كثير الدخان.

(٣) جانب: قصير. الجذع في الخيل: له ستان من العمر.

(٤) التقرب: ضرب من العدو. والخُضُرُ: ضرب من عدو الدواب. ملهم: شديد.

(٥) إرخاء: ضرب من سير الذئب. والسيد: الذئب. يوائل: يلجا.
 (٦) يلجب: يتعجب.

(٧) الفصوص من الفرس: مفاصل ركبتيه. الشظى: عظيم متصل بالذراع.
الاباجل: جم الابجل: عرق غليظ من الفرس أو البعير.

كُبِّينَ طلاةَ من الطُّحلبِ^(١)
 كَاوْفَفَةَ الْفَالِعَ المُصَبَّ^(٢)
 إِلَى جُؤْجُورِهِلِ الْمُنْكِبِ^(٣)
 كَتْجِيَةَ الْقَتْبِ الْمُجَلَّبِ
 وَظَهَرَ الْقَطْلَةَ وَلَمْ يَجِدْ^(٤)
 إِلَى طَرَفِ الْقُنْبِ فَالْتَّنْبِ
 قِيْ مِنْ خَبَبِ الْجَوْزِ لَمْ يُثْقِبِ
 صَهْبَلًا يُبَيِّنَ لِلْمُغْرِبِ
 هَوَيِ الْقُطَامِيِّ لِلْأَرْبَ
 نَوَاعِمُ جَفَلِ مِنَ الْأَثَابِ^(٥)

الطويل

جَحَارَةُ غَيْلِ بِرَضْرَاضَةِ
 وَأَوْظَفَةُ أَيْدِيَ جَذْمَا
 وَلَوْجُ فَرَاغِينَ فِي بَرَكَةِ
 اِمْرُ وَنَحْيَيِّ مِنْ صَلَبِهِ
 عَلَى أَنْ حَارِكَهُ مُشَرِّفٌ
 كَانُ مَقْطُ شَرَاسِيفَهُ
 لُطْفَنَ يُشَرِّسَ شَدِيدَ الصِّفَا
 وَيَضْهَلُ فِي مِثْلِ جَوْفِ الطُّويِّ
 وَمِنْ دُونِ ذَاكَ هَوَيِّ لَهُ
 كَانَ تَوَالِيهَا بِالْفَصْحَى

قال:

وَلَوْ مَا عَلَى أَحَدَثَ الدَّهْرِ أَوْ ذَرَا
 فِيْخَافَا لِرَوْعَاتِ الْحَوَادِثِ أَوْ قِرَا
 فَلَا تَغْزِعَا مَا قَضَى اللَّهُ وَاصِرَا
 قَلْبِلُ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَى وَادِيرَا
 تُغْيِرُ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَ قُدْرَا

عَلِيلِ عُوجَا سَاعَةً وَتَهْجُرا
 وَلَا تَجْزِعَا إِنَّ الْحَيَاةَ ذَمِيمَةَ
 وَإِنْ جَاءَ اِمْرٌ لَا تَطْبِقَانِ دَفْعَهُ
 أَمْ تَزْرِيَا أَنَّ الْمَلَامَةَ تَفْعَهَا
 تَهِيجُ الْبَكَاهَ وَالنَّدَامَهُ ثُمَّ لَا

(١) الرضراضة: الأرض الصلبة. الطحلب: خضرة تعلو الماء الرائد.

(٢) أوظفة: جمع وظيف وهو مستنق الذراع والساقي من الخيل والإبل. أيد: قوي. فالع: جمل ضخم. المصعب: الفحل لم يُرض.

(٣) جوزع: صدر.

(٤) الماحرك: فروع الكتفين. القطلة: مقعد الردف.

(٥) الجحمل: صفار النخل. الأناب: ضرب من الشجر.

انيتُ رسول الله اذ جاء بالمدى
 ويتلو كتاباً كالجرة نيرا
 خليلي قد لاقب ما لم تلقيا
 وسأرثت في الاحباء ما لم تُسيرا
 تذكرت والذكرى تهيج لذى الموى
 ومن حاجة المحزون ان يتذكرها
 ندامى عنـذ المنذر بن عرقـي
 ارى اليوم منهم ظاهر الارض مـقـفـراـ^(١)
 كهولاً وشباناً كان وجوفهم
 دنـانـيرـ ما شيفـ في ارضـ فـيـصـراـ
 وما زلت اسعى بين بـابـ وـدارـةـ
 بـنـجـرـانـ حقـ حـفـتـ ان اـنـصـرـاـ
 لـدى مـلـكـ من آلـ جـفـنةـ خـالـهـ
 وجـدـاهـ من آلـ اـمـرـىـ القـيـسـ اـزـمـرـاـ
 يـدـبـرـ عـلـيـنـاـ كـأسـهـ وـشـوـاهـ مـنـاصـفـهـ وـالـخـضرـمـيـ المـحـبـاـ
 خـنـيفـاـ عـرـاقـيـاـ وـرـبـطـاـ شـامـيـاـ
 وـمـعـتـصـراـ من مـسـكـ دـارـينـ اـذـفـراـ^(٢)
 وـنـبـءـ عـلـيـهـ اـنـسـيـجـ رـيحـ مـرـيـضـةـ
 قـطـعـتـ بـخـرـ جـوـجـ مـسـائـلـةـ القرـاـ

(١) المنذر بن عرق: هو المنذر بن ماء السماء، وكان قد قُتل في حرب مع الفساسة حوالي سنة ٥٥٦ رومية.

(٢) دارين: موضع بالبحرين.

خنوف متروك تُعجل السُّوق بعدها
 تُعرَّسْ تشكو آهَةً وتلَمِّرا^(١)
 وتعبر بعفورة الصرىم كنائِه
 وتخرجه طوراً وإن كان مُظهراً^(٢)
 كُمرقدة فردة من الوحش حُرْرَة
 أنامت بذى الذئبين بالصيف جُوندرا^(٣)
 فامى عليه أطلس اللون شاجباً^(٤)
 شحيحاً يُسمى النباتي نهراً^(٥)
 طول القراء عاري الأشاجع ماردة
 كثُق العصافرة إذا ما تضُوراً
 فبات يذكىء بغير حديدة
 آخر قنص يُسي ويصبح مُقفرَا^(٦)
 فلافت بياناً عند أول مربض
 إهاباً ومعبوطاً من الجوف انمرا^(٧)
 وجهها كبرقوع الفتاة ملمعاً
 وزوقين لا يبعدوا أن تَقْمِراً^(٨)
 فلما سفاما البائس وارتدى هُنَّها
 إليها ولم يترُك لها متأخراً

(١) خنوف: دابة ترمي يديها إلى وحشيتها.

(٢) اليعفور: البقر الوحشى. الكناس: بيت البقر الوحشى.

(٣) الجوندر: البقرة الوحشية.

(٤) أطلس: أملس أو لا شعر له.

(٥) يذكىء: يذبحه. أفتر: جاع.

(٦) العبيط: اللحم.

(٧) تَقْمِرها: صادها.

أتبع لها فرداً خلا بين عاليٍ
 وبين جبال الرُّمل في الصيفأشهراً
 كسدفع رجلبها صفيحة وجهه
 إذا انجردت نبت الخزامي المُنْرِّا
 مُرْوَجَ كـالقريان ظاهر لونها
 بـراراً من القراءـص أحـوى واصـفـراـ
 فـبـاهـى كـفـحلـ المـحـوشـ يـنـفـضـ رـاسـهـ
 كـماـ يـنـفـضـ الـوـضـعـ الـفـنـيـقـ الـمـجـفـراـ^(١)
 وـوـلـتـ بـهـ روـحـ خـفـافـ كـأـنـاـ
 خـذـارـيـفـ تـرـجـيـ سـاطـعـ اللـونـ اـغـبراـ
 كـأـسـدـافـ هـنـدـيـنـ صـهـبـ لـاهـمـ
 يـبـيـعـونـ فـيـ دـارـيـنـ مـسـكـاـ وـعـنـبـراـ^(٢)
 فـبـاتـ ثـلـاثـاـ بـيـنـ بـومـ وـلـيـلـةـ
 وـكـانـ النـكـيرـ أـنـ تـضـيفـ وـتـجـارـاـ
 وـبـاتـ كـانـ كـشـحـهاـ طـيـ رـبـطـةـ
 إـلـىـ رـاجـعـ مـنـ ظـاهـرـ الرـمـلـ اـعـفـراـ^(٣)
 تـلـلـاـ كـالـشـعـرـيـ العـبـورـ تـوقـدـتـ
 وـكـانـ عـهـاـ دـوـنـهاـ فـتـحـرـاـ^(٤)

(١) المُحُوشـ: فـحـولـ مـنـ الجـنـ. يـنـفـضـ: يـحـركـ.

(٢) دـارـيـنـ: مـوـضـعـ الـبـرـيـنـ.

(٣) رـاجـعـ الـوـزـنـ: ثـقـيلـ.

(٤) الشـعـرـيـ: مـنـ النـجـومـ.

بِحُورِ النَّدَى فِي مِذْرَبِهَا كَانَهُ
 فَرِيدٌ هُوَيْ مِنْ سِلَكِهِ فَتَخَذُّراً^(١)
 وَعَادِبَةٌ سَوْمُ الْجَرَادِ شَهِذَهَا
 فَكَفَلَهَا سَبَداً أَزْلَ مُصَدْرَا^(٢)
 أَشْقَ قَسَامِبَأْ رُبَاعِيُّ جَانِبٍ
 وَقَارَخَ جَنْبِ سُلْ أَقْرَخَ اشْفَرَا^(٣)
 شَدِيدُ قَلَاتِ الْمِرْقَبَنِ كَانَهُ بِهِ نَفْسٌ أَوْ قَذَ أَرَادَ لِيَزْفَرَا
 يُمْرُ كَمَرِيَخَ الْمُغَالِي اِنْتَخَتْ بِهِ
 شِمَالُ عَبَادِي عَلَ الرِّبَعِ أَعْسَرَا
 وَيُبَقِّي وَجِيفُ الْأَرْبَعِ السُّوْدَ لَحَمَةٌ
 كَمَا يُبَنِي التَّابُوتُ أَخْزَمَ بَخْفَرَا
 فَلَمَا أَنَّ لَا يَنْفَضُ الْقَوْدُ لَحَمَةٌ
 تَنْفَضُ الْمَدِيدُ وَالشَّعَيرُ لِيَضْمُرَا
 وَكَانَ أَمَامُ الْقَوْمِ مِنْهُمْ طَلْبَعَةٌ
 فَأَرَبَ يَفَاعَأْ مِنْ بَعِيدٍ فَبَثَرَا
 وَنَهَنَّهَ حَتَّى لَبَسَتْ مُفَاضَةٌ
 مُضَاعِفَةٌ كَالنَّهَيِّ رِبَعٌ وَأَمْطَرَا^(٤)
 وَجَمَعَتْ بَزَيَ فَوْقَهُ وَدَفَعَتْهُ
 وَنَائَاتُ مِنْهُ خَشِيَّةٌ أَنْ يَكُنْرَا

(١) المديان: القرنان. الفريد: العقد.

(٢) عادبة: حملة. سوم الجراد: مضيء.

(٣) الأشق: الطويل من الخيل والرجال.

(٤) نهاته: منته.

وعرفته في شدة الجري باسمه
 وأشليته حق اراح وابصرا^(١)
 فظل يجاهم كان هونه
 هوي قطامي من الطير انمرا^(٢)
 ازج بذلك الرُّمْح لحبته سابقاً
 نزائع ما ضم الخميس وضمرا
 له عنق في كامل غير جانب
 ولع بلحبته وتحي مذيرا
 وبطن كظهر الترس لو شل اربعاً
 لا صبح صفرا بطنها ما غر خرا^(٣)
 فكف اولى شفري جيادا ضواماً
 فزحزخها عن مثلها أن تصدرا
 فأرسل في دُفِّم كان حنينها
 فحيث الأفاعي أعيجلت ان تمحرا
 لها حجل فزع الرؤوس تحليبت
 على هامة بالصيف حق تورا
 إذا هي سبقت دافعت ثفناها
 إلى سرير بُخْر مزاداً مُقيراً
 وتغمس في الماء الذي بات آجنا
 إذا أورَدَ الراعي نضبحاً مجيراً^(٤)

(١) أشليته: أغرتنه.

(٢) شعر أمر: مناقط.

(٣) شل: طرد.

(٤) الماء الاجن: المتغير.

حناجر كالاقماع فتح حنينها

كما نفع الزمار في الصبح زغرا^(١)
 وبهذا يُقللُ علينا العدو فبأنهم يقولون معروفاً وأخر منكرا
 فيما وجدت من فرقية عربية كفيلاً دنا منا أعز وأنصرأ
 وأكثر منا ناكعاً لغربيّة أميّث بسأة أو أرادت تخيراً
 وأسرع منا إن أردنا انتصافه وأكثر منا دارعين وحسرأ^(٢)
 وأجدَر أن لا يتركوا عانياً لم فيغير حولاً في الحديد مُكفرأ^(٣)
 وأجدَر أن لا يتركوا من كرامات ثواباً وإن كان الثواب أغاً ضرا
 وقد آتت منا قضاة كالثأر
 فأضحكوا ببصري يعصرون الصنوبر
 وكندة كانت بالعقبق مُقبمة
 ونهَدَ فكلاً قد طحرناه مطحرا^(٤)
 كنانة بين الصخر والبحر دارهم
 فاحجرها إن لم تجذ متاخرا
 ونحن ضربنا بالصفا آل داريم
 وحسان وابن الجون ضرباً منكرا
 وعلقة الجعفية أدرك ركبنا
 ببني النخل إذ صام النهار وفجرا
 ضربنا بطورن الخييل حتى تناولت
 عميدني ببني شيبان غفرواً ومنذرا

(١) الزغر: قصب المزار.

(٢) دارع: وضع الدرع.

(٣) العاني: الأسير.

(٤) طحر: فهر.

أرحنـا مـعـدـاً من شـرا حـيـل بـعـدـما
 أـرـاهـا مـبـعـدـاً الصـبـحـ الكـواـكـبـ مـظـهـراـ
 تـمـرـنـ فـبـهـ المـضـرـجـيـةـ بـعـدـما
 رـوـئـنـ نـجـبـعـاـ مـنـ دـمـ الـجـوـفـ أحـراـ^(١)
 وـمـنـ أـسـدـ أـغـوـيـ كـهـوـلـ كـثـيـرـةـ
 يـتـهـيـ غـرـابـ يـوـمـ مـاـ غـوـجـ الـذـرـاـ
 وـتـنـكـرـ بـوـمـ الرـوـعـ الـوـانـ خـيـلـاـ
 مـنـ الـطـعـنـ حـقـ تـعـبـ الـجـوـنـ أـشـقـرـاـ
 وـنـحـنـ أـنـاسـ لـاـ تـعـودـ خـيـلـاـ
 إـذـاـ مـاـ التـقـبـنـاـ أـنـ تـحـيـدـ وـتـنـفـرـاـ
 وـمـاـ كـانـ مـعـرـوفـاـ لـنـاـ أـنـ نـرـدـهـاـ
 مـصـاحـاـ وـلـاـ مـسـتـشـكـرـاـ أـنـ تـعـفـرـاـ
 بـلـفـنـاـ السـيـاـ عـدـاـ وـجـوـداـ وـسـوـدـداـ
 وـلـأـنـاـ لـنـرـجـوـ فـوـقـ ذـلـكـ مـظـهـراـ
 وـكـلـ مـعـدـ قـدـ اـحـلـتـ سـبـوـفـنـاـ
 جـوـانـبـ بـحـرـ ذـيـ غـوارـبـ أـخـضـرـاـ
 لـعـمـرـيـ لـقـدـ اـنـذـرـتـ أـزـدـاـ أـنـائـهـاـ
 لـتـنـظـرـ فـيـ أـحـلـامـهـاـ وـتـفـكـرـاـ
 وـأـعـرـضـتـ عـنـهـاـ جـقـبـةـ وـتـرـكـتـهـاـ
 لـاـبـلـغـ عـذـرـاـ عـنـدـ رـبـ فـأـعـذـرـاـ
 وـمـاـ قـلـتـ حـقـ نـالـ شـثـمـ عـشـيرـتـيـ
 نـفـيلـ بـنـ عـمـرـ وـالـوـحـيـدـ جـعـفـرـاـ

(١) التبع: الدم.

وَحْنِيْ ابْرُو بَكْرٌ وَلَا حَنِيْ مُثْلُمْ
 إِذَا بَلَغَ الْأَمْرُ الْعَمَاسَ الْذَّمِرَا
 وَلَا خَيْرٌ فِي جَهَلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 بِوَادِرٍ تَحْمِي صَفَوَةً أَنْ يُكَثِّرَا^(١)

 وَلَا خَيْرٌ فِي جَهَلٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ
 حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا
 فِي الْجَلِمِ خَيْرٌ مِنْ أَمْوَالِ كَثِيرَةٍ
 وَفِي الْجَهَلِ أَحْيَانًا إِذَا مَا تَعَلَّمَا
 كَذَلِكَ لِعَمْرِي الدَّهْرِ بِوَمَانِ فَاعْرَفُوا
 شَرُورَ وَخَيْرَ لَا بِلِ الشَّرِّ أَكْثَرَا
 إِذَا افْتَخَرَ الْأَزْدِيُّ يَوْمًا فَقَلَ لَهُ
 تَأْخِرٌ فَلَنْ يَجْعَلْ لَكَ اللَّهُ مَفْخِرًا
 فَإِنْ تَرِدَ الْعَلِيَا فَلَسْتَ بِأَمْلِيَا
 وَإِنْ تَبْسُطِ الْكَفِيفِينَ بِالْجَدِ نُقْصَرَا
 إِذَا أَدْلَجَ الْأَزْدِيُّ أَدْلَجَ سَارِقًا
 فَاصْبَحَ غَوْمًا بِلَوْمٍ مَعَزَّرَا

وقال:

(المقارب) وَافْنَيْتُ أَنَّاسَ أَنَّاسًا ^(٢) وَكَانَ إِلَهٌ هُوَ الْمُسْتَأْسَا ^(٣)	لَبِسْتُ أَنَّاسًا فَاقْبَيْتُهُمْ ثَلَاثَةَ أَهْلِينَ أَفْنَيْتُهُمْ
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------	--------------------------------------------------------------------------

(١) الْبَوَادِرُ: مَا يُقَالُ عِنْدَ الغَضْبِ.

(٢) لَبِسْتُ أَنَّاسًا: غَلَبْتُهُمْ دَهْرًا. أَفْنَيْتُهُمْ: عُمِرتُ بِعَدْهُمْ.

(٣) اسْتَأْسَ: طَلَبَ الْعَوْضَ.

تلقى المعايش فيها خسما
 وحينما أصادف منها ثياما^(١)
 وينقى المتسوون مني بمراسا
 بِ كالأند يفترسون افتراسا
 ه حق نساقوا سمر كياسا
 طباق الكلاب يطآن المراسا^(٢)
 ولا تُنصرِّيَ إلَى التهاسا
 مُلتبساً بالفؤاد التباسا
 يُعيَّي كضوء سراج السُّلْطَنِ لم يجعل الله فيه ثياما^(٣)
 بآنسة غير انس القراء
 في الخلط بالأنس منها ثياما^(٤)
 تشتت عليه فكانت لباسا^(٥)
 كما عطف الماسخي القياسا^(٦)
 تقابلة يخفرون الرُّسَامَا^(٧)
 مررت برُعْبي فكان اعتساما^(٨)
 بِ من يأته يلق طعننا خلاسا

وعشت بتعيش إن المنون
 فحياناً أصادف غرائها
 نشأت غلاماً أقاسي الحروب
 وحبر من الطعن غلب الرُّفَا
 شهيدتم لا أزجي الحبا
 وشعب يطابقن بالدارعين
 فلما دنونا لجُرس النبوح
 أصافت لنا النار وجهها أغرا
 يُعيَّي كضوء سراج السُّلْطَنِ لم يجعل الله فيه ثياما^(٣)
 بآنسة غير انس القراء
 في الخلط بالأنس منها ثياما^(٤)
 إذا ما الضجيج ثق جيدها
 ببعس تعطف اعتاقها
 سبفت إلى فربط ناهيل
 وحرب ضروس بها ناخس
 أمام لواء كظل المغاف

(١) غرات: جمع غرة: غفلة.

(٢) المراس: شوك كانه حنك.

(٣) السُّلْطَنِ: الزيت. والنحاس: الدخان المقصد.

(٤) القراف: المخالطة. الشهاس: عدم مطالعة الرجال.

(٥) لباس: تطلق على المرأة.

(٦) الماسخي: القواس.

(٧) تقابلة: جمع تقابل: قصير. الرساس: جمع رس: البتر.

(٨) ضروس: أكول. الناخس: وعل طول القرنين. مرى الفرع: مسحة.

فأصبح في الناس كالسامري إذ قال موسى له لا مساس^(١)

قال:

(الرمل)

لِنِ الدَّارِ كَانْصَاءِ الْخَلْلُ
عَهْدُهَا مِنْ جَهْبِ الْعِيشِ الْأَوَّلِ^(٢)
مَغَامِيدَ فَاعِلُ أَسْنَ
فَحَنَاتِ فَأَوْقِ فَالْجَبَلِ^(٣)
وَبَاعِلُ حَرْبَيَاتِ مُتَقَلِّ
كُلُّ مَوْشِي شَوَاهُ فَوْرَمَلِ^(٤)
عَنْتُ الدَّهْرِ وَعِيشُ فَوْخَبَلِ^(٥)
فِي التَّبَاشِيرِ مِنَ الصُّبْحِ الْأَوَّلِ^(٦)
أَوْ جَدِيدُ حَدَثُ الْقَارِ حَبَلِ^(٧)
مُثْلُ مَا يُرْفَعُ بِالْكَيْ الطَّبَحَلِ^(٨)
وَغَلَّلَنَا غَلَّلًا بَعْدَ نَهَلِ^(٩)
نَجَلِ فَيَاضِ وَمِنْ آلِ سَبَلِ^(١٠)
فَإِذَا الصَّاهِلُ مِنْهُنَّ صَهَلْ

(١) يُقال: لا مساس لا مساس بمعنى: لا خبر في الخبر.

(٢) أنساء: جمع نصو: بالي. خلل: جمع خلة.

(٣) أسن: جبل في دياربني جمدة. ومثله مقاميد وحناتات وأوق والجل.

(٤) الرمل: خطوط سود على ظهر الفزان. الشوى: الأطراف.
(٥) عنْت الدَّهْر: مشقت.

(٦) الشمول: الخمرة.

(٧) الأسكوب: الصانع.

(٨) لنَهَل: الشرب الأول. والعلل: الشرب الثاني.

(٩) العناجيح: جياد الخيل.

جاوبيه حُصْنَ مُسَكَّةٍ
 مثل عزف الجن في صلصلةٍ
 فجري من منحربيه زبدٌ
 فعرفنا هزةٌ تاخذُه
 أبْدِ الكاهمِ جلد بازلِ
 فَظنُنا أنه غالبه
 رُفع السُّوطُ ولم يُضرب به
 كلياً من جسَّ ما قدْ منه
 فاستوت هزِمنا خذلها
 فتآيا بطريرٍ مرهفٍ
 عَسْلَانُ الذئبِ أمى قارباً
 خارطُ الأحْقَبِ فلؤ ضامراً
 فاذلُ العَيْرِ حتى خلتُه

أرناتٌ لم يلوّنها المَمَلُّ^(١)
 ليس في الأصوات منهن صَحْلٌ
 مثل ما انصرَ حُمَاضُ الجَبَلُ^(٢)
 فقرناءٌ بِرِضْرَاضٍ رِفْلُ^(٣)
 أخلف البازلَ عاماً أو بَرَلُ^(٤)
 فزجرناءٌ بِيَهِيَاءٍ وَهَلُّ^(٥)
 فارَنُ الْوَقْعُ منه واحتفَلُ
 وأفانين فؤادٌ غَشَّمَلُ
 وجري الشِّفُّ سواه فاعتدَلُ^(٦)
 جُفَرَةُ المَخْزِمِ منه فَمَلُّ^(٧)
 بَرَدُ اللَّيْلِ عليه فَنَلُّ^(٨)
 أبلُّ الحقوين مَشْطُوبُ الْكَفَلُ^(٩)
 فقصَ الأمران يعدو في شَكَلٍ^(١٠)

(١) أرنات: نسيطات.

(٢) الحُمَاض: بقلة برية.

(٣) رِفْل: ساقع الذنب. رِضْرَاض: كثير اللحم.

(٤) البازل: البعير إذا ظهر له نابان. والكاهم: العائق.

(٥) بَيَاه وَهَل: لزجر الإبل.

(٦) الْهَزْمَاتَان: عظمتان ناتسان في اللحين تحت الأذنين. الشف: الفضل.

(٧) تَأْيَا: تعمد أيه أي شخصه. جُفَرَةُ الفرس: وسطه. المَخْزِم: الصدر.

(٨) عَسْلَانُ الذئب: عدوه مسرعاً. التَّغْرِيب: ضرب من العدو.

(٩) خارط: لا يستقر في بطنه علف. مشْطُوب: قليل اللحم. الأحْقَب: الحمار الوحشي في بطنه بياض.

(١٠) قفص الظبي: شد قوائمه وجمعها. الأمران: جمع مَرَن: عصب باطن الصُّصَدِين.

ما نرأء شانه قلت أذل
 مُسْحَلَانَ فَحَصِيدًا فَتَبَلَّ^(١)
 فلوى الْخَرَّ فاطراف الرَّجُل^(٢)
 ولكن هَمَوا لِنَعْمَ المُشَفَّلَ^(٣)
 واللَّبَه عن أذاء مُعْتَزَلَ
 وإذا مَا غَيَّرْ دُو اللَّبِ سَالَّ
 شرب الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ وَاكْلَ
 بِخَسَارِ وَاتْهَى ذاك الأَجَلَ
 فَأَيْدِيَوْا لِمْ يَفَادِرْ غَيْرَ فَلَّ^(٤)
 طَرَبَ الْوَالِهِ او كَلْمُخْتَلِلَ
 إِنَّا يَتَشَدَّدُ مِنْ كَانَ أَصَلَّ

لَيْتْ شِعْرِي إِذْ مَضَى مَا قَدْ مَضَى
 وَنَجَلَ الْأَمْرُ لَهُ الْأَجَلَ

أَهْلَ صَفَنَ وَاصْحَابَ الْجَمَلَ
 وَلُحُومَ الْبَدْنِ لَمَا تَشَقَّلَ^(٥)
 أَمْ يَبْيَسُونَ بِخَوْفِ وَجَلَ

قَالَ صَحْبِي إِذْ رَأَهُ مُقْبَلاً
 لَيْتْ قَبْسَاً كُلُّهَا قَدْ قَطَعْتْ
 فَالْأَشَافِي فَاعْلَى حَامِرِ
 جَاعِلِينَ الشَّامَ حَمَّاهُمْ
 مَوْتَهُ أَجْرَ وَعِبَادَةُ غَنِيَّ
 سَالَتْنِي جَارِتِي عَنْ أَمْتِي
 سَالَتْنِي عَنْ أَنَاسِ مُكْلَوْا
 بَلَغُوا الْمُلْكَ فَلِمَ بَلَغُوا
 وَضَعَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ بِرَكَةَ
 فَأَرَانِي طَرِيبَاً فِي إِثْرِهِمْ
 اِنْشَدَ النَّاسَ وَلَا اِنْشَدُهُمْ

مَا يُظْنَنَ بِنَاسٍ قُتِلُوا
 وَابْنَ عَفَانَ حَنِيفَاً مُسْلِمَاً
 اِيْنَامُونَ إِذَا مَا ظَلَمُوا

(١) مُسْحَلَانْ: وَادٍ مِنْ أَدْوِيَةِ أَوْدٍ. وَحَصِيدَ وَتَبَلَّ: مَوْضِعَانِ آخِرَانِ.

(٢) الْأَشَافِي: وَادٍ فِي دِيَارِ قَبْسٍ. حَامِر: مَوْضِعٌ عَلَى الْفَرَاتِ. الرَّجُلُ: جَمِيعِ الْأَجْلَةِ.

(٣) الْحَمَّ: الْفَصَدُ.

(٤) فَلَّ الْقَوْمُ: مُنْهَزِمُوْهُمْ.

(٥) اِبْنَ عَفَانَ: الْخَلِيفَةُ الرَّاشِدِيُّ ثَالِثُ عَمَّانَ بْنَ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. الْبَدْنُ: جَمِيعُ الْبَدْنَةِ: النَّاقَةُ.

بَيْتُ رِبَّةٍ مِنْ كَانَ سَالٌ
 مِنْ رِبَيعٍ كُلُّهُ خَفْ فَمَطَلٌ^(١)
 وَأَخْرَى الْفَلَدِ إِذَا هُمْ فَعَلُ
 إِنَّا ذَكَرْتِي كَنَارِ بَقْبَلٍ
 مُقْبَلِي نَحْوَيِ الْأَطْرَافِ الْأَسْلَلٌ^(٢)
 وَإِذَا مَا نَوَجَيِ الْمُشَفَّلٌ^(٣)

وَلَمْ سِبَّا إِذَا ثَبَّصَرْتُمْ
 فَتَمْطَلُ زَغْرِيَ وَارِمَ
 مِنْهُ الْفَلَذَرَ فَلَمْ أَهْمَ بِهِ
 خَشِبَةُ اللَّهِ وَانِي رَجُلٌ
 بِتَوَاصُونَ بَقْتَلِي بَيْنَهُمْ
 إِنْ تَرَنِي هُنْيَ أَمْسَى شَاغِلِي

قال:

(البيط)

إِنَّا تَرَى ظُلَلَ الْأَيَامِ قَدْ حَسَرَتْ
 عَنِّي وَشَمَرَتْ دَيَّلًا كَانَ دَيَالًا^(٤)
 وَعَمِنْتِي بِقَابِيَا الدَّهْرِ مِنْ قُطْنِ
 فَقَدْ أَنْضَجَ ذَا فِرْقَيْنِ مَيَالًا^(٥)
 فَقَدْ تَرَوْعَ الغَوَانِي طَلْعَقِي شَفَفَا
 يَنْصُصَنَ أَجِيادَ أَدْمِ تَرَعِي ضَالًا^(٦)
 فِي غَرَّةِ الدَّهْرِ إِذْ تُعْمَانُ فَوْ تَبْعَ
 وَإِذْ تَرَى النَّاسَ فِي الْأَمْوَاءِ مُتَالًا^(٧)

(١) الزَّغْرِي: النبات حين يطول.

(٢) الْأَسْل: القنا.

(٣) تاجِيَ الْفَرَم: تازروا.

(٤) حَسَر: كثف، الظلل: جمع الظلة: السحابة تظلل.

(٥) عَمِنْتِي مِنْ قُطْنِ: علارأس الشيب، نَضَج: ارتفع.

(٦) الغوانِي: جمع الغانية: الفتاة غبنت بجمالها. الشَّفَفَ: شدة الحب، النَّصَ: السير الشديد، الأَدْمَةُ في الإِيلِ: البياض الشديد، الضَّالِّ: السدر البري.

(٧) غَرَّةُ الدَّهْرِ: غفلته، الْفَارَّ: الغافل، هَالٌ وَهَلْلٌ: أي ترعى بلا راعٍ.

حتى أن أحد الفرقان يقرؤه
 فيما وكنا بغيبِ الأمر جهلاً
 فالمحمدُ له إذ لم يأتني أجي
 حق لبست من الإسلام سربالاً
 يا بن الحبّا إني لولا الإله وما
 قال الرسولُ لقد أنسنتك الخالا^(١)
 لقد وسمتُك ونَمَّا لا يغُبُّ
 ثوباك يبرُّق في الأعناق أحوالاً
 أن تهمُّ فينا النافعاتُ وقد
 كنا نقدم للظلام أنكالا^(٢)
 فإن صخرتنا أغاثت أباك ولا
 يألوها ما استطاع الدمر إخباراً
 ردت معادلَه خثماً مضلةً وصادفت أخضر الجالين صللاً
 فاذكر مسامي أقوامٍ فخررت بهم
 ولا تدعهم من الأسماء أغفالاً
 فقل هم رحلوا يوماً إلى مبلكٍ
 وقطعوا عن عنة الشعبِ أغلالا^(٣)
 كما فعلنا بحسان الرئيس وبابن الجون
 إذ لا يرى الناس إقبالا^(٤)

(١) ابن الحبّا: سوار بن أوفى القشيري.

(٢) الأنکال: القيد. والواحد بكل.

(٣) عنة: جمع عان وهو الأسير.

(٤) حسان هو حسان بن عامر بن الجون. والجون الكلبي ملك هجر.

إِذْ أَصْعَدْتَ عَامِرًا لَا شَيْءَ يُحِبُّهُمْ
 حَتَّى يَرَوْا دُونَهُمْ مَضْبًا وَأَنْسُوا
 حَتَّى عَطَفُنَا هُمْ عَطْفَ الْفَرَوْسِ وَهُمْ
 يَلْقَوْنَ مَا تَحْكُمُ النُّفُرُ بِلَبَالٍ^(١)
 أَوْ قُلْ مَمْ قَاتَلُوا شَهِيدًا مُضْلَعَةً
 قَدْ قَذَفْتُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ أَهْوَالًا
 مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَنْطَقْتُ حَيًّا الْحَرِيشَ وَحِيَّا مِنْ عُبَادَةَ لَمْ تُعَمِّمْهُمْ بِالا^(٢)
 وَمِثْلُهُمْ مِنْ بَنِي عَبْسٍ تَدْفَعُهُمْ
 نَفَقَ الرَّحِيْمِ الْحَبْتُ إِدْبَارًا وَاقْبَالًا
 شَهِيدًا فَلَئِنْ شَمْوَسٌ نَشَرَهَا ذَفِيرًا
 تَلْبَسَتْ مِنْ ثِيَابِ الْكَرْوَاجِلَالٍ^(٣)
 ثُمَّ اسْتَمْرَتْ شَمْوَسُ الرِّيحِ سَاكِنَةً
 تُزْجِي تَرْبِاعًا فَبِعَافِ الْوَطَهُ أَطْفَالًا
 حَتَّى لَحْقَنَا هُمْ تَعْدِي فَوَارِسُنَا
 كَانُوا رَعْنَانَ قَفَّ يَرْفَعُ الْأَلَالٍ^(٤)
 فَلَمْ نُوقِفْ مُثْبِلِينَ الرَّمَاحَ وَلَمْ
 تُوجَدْ عَوَوِيرٌ يَوْمَ الرُّؤُعِ عَزَالًا^(٥)
 حَتَّى خَرَجَنَ بَنَانِ جَوْفِ كَوْكَبِهِمْ
 حُمْرًا مِنْ الطُّعْنِ اعْنَاقًا وَأَكْفَالًا

(١) بلال: اضطراب.

(٢) الحريش: قبيلة من بنى عامر.

(٣) الشهيد: بياض مع سواد. فرس شموس: عنيد. الذفير: شدة الرائحة.

(٤) الأل: السراب.

(٥) عزال: لا سلاح معهم. عوويرة: ضعفاء.

نَمْ نَزَلْنَا وَكَرْنَا الرِّمَاحَ وَجَرَدْنَا
 صَفِيْحًا كَسْنَهُ الرُّومُ دَجَالًا^(١)
 فِي غَمَرَةِ الْمَوْتِ نَفَشَاهَا وَنَرْكِبُهَا
 ثُمَّ تَبَوَّءُ نَبْدُو كَرَامَ الصَّمِّ ابْطَالًا
 حَقِّ غَلَبْنَا وَلَوْلَا نَحْنُ قَدْ عَلِمْنَا
 حَلَّتْ سَلْبًا عَذَارَهُمْ وَجَالًا
 فَإِنْ يَكُنْ حَاجِبٌ مِنْ فَخْرَتْ بِهِ
 فَلَمْ يَكُنْ حَاجِبٌ عَنْهَا وَلَا خَالًا^(٢)
 فَإِنْ يَكُنْ قَلْمَمْ بِالشَّامِ يَنْثُدُهَا
 فَإِنَّ بِالشَّامِ أَقْدَامًا وَأَصْلَا
 مِنْ الْجَنُودِ وَمِنْ لَا تَعْدُ فَلَا
 تَفْخِرُ بِمَا كَانَ فِيهِ النَّاسُ أَمْثَالًا
 نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَيْ رَحْرَحَانَ وَقَدْ
 ظَلَّتْ هَوَازِدُ أَنَّ الْمَعْزَ قَدْ زَالَ^(٣)
 وَيَوْمَ مَكَّةَ إِذْ مَا جَذَّمْ نَفَرَأُ
 حَامِلَا عَلَىْ عُقْدِ الْأَحْسَابِ أَزْوَالًا
 عَنْدَ النَّجَاشِيِّ إِذْ تَعْطُونَ أَيْدِيْكُمْ
 مَقْرَنِينَ وَلَا تَرْجُونَ إِرْسَالًا^(٤)

(١) الصَّفِيْح: السَّبِيلُ الْمُرِيبُ. الدَّجَالُ: مَاءُ الْذَّهَبِ.

(٢) وَحَاجِبُ: هُوَ ابْنُ زَرَارةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ دَارَمَ التَّمِيميِّ.

(٣) رَحْرَحَانُ: جَبَلٌ قَرِيبٌ مِنْ عَكَاظٍ. وَكَانَ فِيهِ لِلْمَرْبِ يَوْمَانٍ. رَاجِعُ الْأَغْنَانِ
الْجَزْءِ (٥).

(٤) النَّجَاشِيُّ: مَلِكُ الْحَبَشَةِ. تَعْطُونَ أَيْدِيْكُمْ: كَنَابَةُ عَنِ الذَّلِّ مَقْرَنِينَ: مَشْدُودِينَ
بِالْجَبَلِ.

إِذْ تَسْتَحْبُونَ عَنْدَ الْجَذَلِ أَنْ لَكُمْ
 مِّنْ آلَ جَمْدَةَ أَعْهَاماً وَأَخْوَالاً
 لَوْ تَسْتَطِعُونَ أَنْ تُلْقِوا جَلَدَكُمْ
 وَتَمْعِلُوا جَلَدَ عَبْدَ اللَّهِ سَرْبَالا^(١)
 إِذْ تَرْبَلَتْ فِيهِ لِينِجِبِكُمْ
 مَا يَقُولُ ابْنُ ذِي الْجَدَّيْنَ إِذْ قَالَ
 نَلَكُ الْكَارَمُ لَا قَعْبَانٌ مِّنْ لَبِنِ
 شَبِيَا بِمَاءِ فَعَادَا بَعْدَ أَبْوَالا^(٢)

قال:

(السر)

الْحَمْدُ لِلَّهِ لَا شَرِيكَ لَهُ مِنْ لَمْ يَقُلْهَا قَنْقَسَةُ ظَلَماً
 الْمَلْوِجُ الْلَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَفِي الظَّلَمِ نَهَاراً يُفْرَجُ الظُّلَمَا^(٣)
 الْخَاطِفُ الرَّافِعُ السَّاءَ عَلَى الدَّارِ
 أَرْضٌ لَمْ يَبْنَنْ تَحْتَهَا دَعْمًا
 الْخَالِقُ الْبَارِيُّ الْمُصَوِّرُ فِي الدَّارِ
 مِنْ نُطْفَةٍ قَدْهَا مُقْدَرُهَا
 يَخْلُقُ مِنْهَا الْإِبْشَارَ وَالنِّسَاءَ^(٤)
 ثَمَّ لَهُ كَاهَ فَالْتَّامَاءَ
 أَبْشَارًا وَجَلَدًا تَخَالُهُ أَدَمَاءَ^(٥)

(١) عبد الله: هو عبد الله بن جعلة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة خال النابعة الجعدية.

(٢) القعب: القدح. شبيا: مُرجا.

(٣) الملوخ: من أولئك أي ادخل.

(٤) النطفة: ماء الرجل. قدهما: قطعهما. النسم: الروح والنفس.

(٥) العقائق: جمع العقيقة وهو الشعر الذي يخرج على رأس المولود. الأدم: جمع الأدمة: باطن الجلد. البشرة: ظاهر الجلد.

والأخلاق شئ وفرق الكلما
 والله، جهراً، شهادة فَسَا
 واعتصموا إِنْ وَجَدْتُمْ عَصْمًا^(١)
 عصمة منه إلا لمن رَحِمَ
 إلى فارس باذْتَ وخدّها رغماً
 كأنما كان مُلْكُهُمْ حُلْمًا
 أو سَبَا الحاضرين مارب إذ يَنْسُونَ من دون سَبِيلِهِ العرِمَا^(٢)
 فَمُرْزِقُوا في البلاد واعتربوا المهن وذاقوها البأساء والعذما
 ويُذْلِلُوا السُّنْرَ والأراكَ به الخمط وأضحيَ البَيَانَ مَنْهِلِمَا^(٣)
 يا مالك الأرض والسماء ومن يُفرَقُ من الله لا يَخْفَ أثْمَا
 إِنْ امْرُؤٌ قد ظَلَمْتُ نَفِيٍّ وَلَا تَعْفُ عنِ اغْلاَ دَمًا كَثِيرًا^(٤)
 أطْرَح بالكافرين في الدُّرُكِ الأَسْفَلِ يا ربَّ أَصْطَلِ الصرُّمَا
 يرْفَعُ بالقارِي والمُحْدِيدِ من الجُنُور طَوَالًا جَذْعَهُمْ أَعْمَامَا
 نُودِي قُمْ واركَبْنَ بِأَهْلِكَ إِنَّ اللَّهَ مُوْفٌ لِلنَّاسِ مَا زَعَمَا^(٥)

وقال:

من عهْدِ ما أورثْتُ حبيبه والثُّرُ يوافي مطالعِ الْأَكْمَ
 أكْنِي بغير اسمها وقد عَلِمَ اللَّهُ خَفَيَاتِ كُلِّ مُكْتَشَمٍ^(٦)

(١) اتّسّروا: اجتمعوا آراءكم. العصمة: المتعة.

(٢) في البيت إشارة إلى سد مارب الذي أخذته السيل قدیماً في اليمن.

(٣) السُّنْر: واحدته سُنْرَة: شجر البق. الأراك: واحدته أراكَة: شجر السواك.
الخمط: شجر له شوك.

(٤) دم كثيم: أي غليظ.

(٥) ذرع: تكفل.

(٦) في هذا البيت سبق الجعدي غيره بالكتابية فهو أول من كتب.

يُطْرَحُ فِيهَا عَوَائِرُ الْكَلْمِ^(١)
 وَالْعِلَالَاتِ عَنْدَ الرُّقَادِ وَالنَّسْمِ^(٢)
 طَيْبٌ مَشْمَ وَخُسْنٌ مَبَسَّمٌ
 هَبْلَانٌ أَوْ ضَامِرٌ مِنْ الْعُتْمِ^(٣)
 الْفَمَرَاءُ تَهْدِي أَوَابِلَ الظُّلْمِ
 حَيٌّ كَثِيرٌ تَنْدِي مِنْ الرَّهْمِ
 جُرَدٌ فِي لَيلِ شَفَالٍ شَبَمٌ
 عَلْتُ بِهِ قَرْقَفْ سُلَافَةً إِسْفَنْطِ عَقَارْ قَلِيلَةُ النَّدْمِ^(٤)
 الْقَيْ فِيهَا فَلْجَانٌ مِنْ مِسْكٍ دَارِينَ وَفَلْجٌ مِنْ فَلْفَلٍ ضَرْمٌ
 رُدْتُ إِلَى أَكْلَفِ الْمَنَاكِبِ مَرْسُومٌ مُقْبِمٌ فِي الطِّينِ عَتَّلِيمٌ
 جَوْنٌ كَجَوْنِ الْحَمَارِ جَرَّةٌ الْخَرَاسُ لَا نَاقِسٌ وَلَا هَزِيمٌ^(٥)

وقال:

(الطربيل)

يَقُولُ لِنْ يَلْحَاهُ فِي بَذْلٍ مَالِهِ
 أَنْفِقُ أَيَامِي وَأَرْكُ مَالِبَا^(٦)
 يَدِرُّ الْعَرْوَقُ بِالسَّنَانِ وَيُشْتَرِي
 مِنَ الْحَمْدِ مَا يَبْقَى وَإِنْ كَانَ غَالِبًا

(١) الكاشع: العدو المبغض. العائر من الحجارة: لا يدرى من رماه.

(٢) النثر: الرايحة. البداهة: المفاجأة. على علاته: على كل حال.

(٣) يُسَنْ: يسوّك. الضرو: شجرة الكلمك، شجر طيب يستاك به. وهبلان وبراقش: واديان باليمن.

(٤) القرقف: الخمرة. سلافة الخمر: أولها. الإسفنت: الخمرة.

(٥) جون: أسود. الخراس: صانع الدنان.

(٦) يلحاه: بلومه.

أشم طوبل الساعدين سَمِيدع
إذا لم يرخ للْمَجْدِ أصبع غاديا^(١)
أنبحث له والغم بختير الفقى
ومن حاجة الإنسان ما ليس لاقبها

وقال:

(المقارب)

تُوافي الديار بوجهه غِير^(٢)
فشرّ المقالة ما يعتر^(٣)
وما الناس إلا كهذى الشجر
بِ يهتزُ في بهجات خضر
فعاد إلى صفرة فانكسر

وليس بشوهاء مقبوحة
فنثر ذا وعدَ إلى غيره
وما البغي إلا على أهله
ترى الفصن في عنفوان الشبا
زماناً من الدهر ثم التوى
وقال.

(الرمل)

قبل أن يظهرَ في الأرض ريش^(٤)
تُسقُّ الأكال من رطب وَهش^(٥)
مسْهَ طلٌ من الدجن وَرِيش^(٦)

ولقد أغدو شرب أثْفَ
معنا زق إلى سُمهَة
فنزلنا بليلٍ مُقْفِرٍ

(١) أشم سميدع: سيد فوأنفة.

(٢) المقبوحة: التي تُرَدَّ.

(٣) اعتسار الكلام: اتضابه.

(٤) الشرب: اسم جمع لشارب. الريش: العشب والنبات.

(٥) سُمهَة: خوص يجمع فيجعل شيئاً بفرة. الأكال: ما يؤكيل. المتش: اليابس.

(٦) المليل: المفازة. الطل: الندى. الدجن: المطر الغزير. الرش: المطر الخفيف.

ضخمة الأرادةِ من غير نفثٍ^(١)
 ونعامٌ خبطه مثلُ الحبش^(٢)
 فوق يعقوبِ من الخيلِ أَجْعَشَ^(٣)
 تدركِ المحبوبَ مِنَا وتعشَ
 وظليمٌ مَعَهُ أَمْ حُكْشَ^(٤)
 غير معنونٍ وأبنا بَغْبَشَ^(٥)

ولدينا قبةٌ مُسمعةٌ
 وإذا نحنُ بالإجلِ نافرٌ
 فحملنا ما هنَا يُنْصَفُنا
 ثُمَّ قلنا دونك الصيد به
 فأسأنا بـشَبَوبٍ ناثِطٍ
 فائشونا من غريضٍ طَيِّبٍ



(١) القبة: المغنية.

(٢) الإجل: القطيع من بقر الوحش. الخبط: جادعة النعام.

(٣) الماهن: الخادم. اليعقوب: الفرس السريع الطويل. الأجعش: الغليظ.

(٤) الشبوب: النشط المزرون. الظليم: ذكر النعام. الحخش: الغزال الصغير.

(٥) المعنون: المقطوع. النبش: بقية الليل.

ثبات المراجع والمصادر

- شعر النابغة الجعدي، المكتب الإسلامي، ط ١٩٦٤/١، بيروت.
- ديوان الأعشى الأكبر، مكتبة الآداب بالقاهرة.
- ديوان دريد بن الصمة، دار صعب، ١٩٨١، بيروت.
- شرح المعلقات السبع، الزوزني، دار صادر، بيروت.
- العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٧، القاهرة.
- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية.
- طبقات الشعراء، ابن سلام، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٨، بيروت.
- الشعر والشعراء، ابن قتيبة، دار الكتب العلمية، ط ٢، ١٩٨٥، بيروت.
- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، دار المعارف بمصر، ط ٤.
- التطور والتجدد في الشعر الأموي، شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط ٦.

الفهرس

٣	المقدمة
٥	الفصل الأول: الجاهلية
٦	البيئة الطبيعية
٨	البيئة الاجتماعية
١١	البيئة الدينية
١٣	البيئة السياسية
١٦	البيئة العقلية والأدبية
٢١	الفصل الثاني: صدر الإسلام
٢١	العصر الإسلامي
٢٢	القرآن الكريم
٢٣	لغة القرآن ومنهجه
٢٤	أثر الإسلام في الحياة العربية
٢٧	الحديث النبوي
٢٧	موقف الإسلام من الشعر والشعراء
٣١	الفصل الثالث: النابقة الجمدي
٣١	نسبه
٣٢	نشأته وسيرته
٣٥	شاعريته
٣٧	الفصل الرابع: أغراضه الشعرية
٣٧	ال مدح

٤٤	المجاه
٥١	النخر
٥٥	الوصف
٥٨	الحكمة والخواطر
٦١	إسلامياته
٦٧	الرثاء
٦٨	الغزل
٧٣	اللهو والخمريات
٧٧	الزهد
٧٩	خصائصه العامة
٨٣	الخاتمة
٨٥	ختارات
١٠٩	ث بت المراجع والمصادر
١١١	الفهرس

